الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

الاستعارة في القرآن الكريم وأثرها في الدراسات البلاغية
آيات الأخلاق والقيم أنموذجا

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.
تخصص: لغة عربية

إعداد الطلبة:
- **كنزة غراب**
- **سهلة العايب**

إشراف الأستاذة:
د. وردة مسيلي

السّنة الجامعية: 2012 /2013

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى التي أشرقت شمسي بين يديها وترعرعت أغصاني بين أحضانها واستقيت من دمائها، إلى التي أفنت جسدها لنحيا نحن.

أمي الغالية ... زهية.

إلى أعظم الناس، مثلي الأعلى ... أبي العزيز إلى دليل التضحية، رمز الوفاء والإخلاص، قرة عيني، دليلي في الحياة.

أبي الفاضل .... حمداني.

إلى خير عطية وهبني الله إياها إخوتي: يزيد، إسماعيل، سمير، عادل، حمزة.

وأخواتي: نزيهة، فوزية، وسميحة.

إلى ابنة خالتي: سارة.

إلى ابنة أخي: بشرى.

إلى صديقاتي الغاليات: سارة، خديجة، أمال، بسمة، لمياء، بثينة.

إلى أساتذة وإطارات ومسيّري المركز الجامعي بميلة، لا سيما القائمين على معهد الآداب واللّغات، فرع اللّغة العربية.

كنزة غراب.

شكر وتقدير

أحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره على جميل فضله وامتنانه وعلى جميع نعمه ما علمت منها وما لم أعلم أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع، وأسأله أن يتقبّله مني، ويفيد المسلمين، ولا يسعني إلا أن أخرّ ساجدة لله على فضبه ونعمائه.

وأتقدم بجميل الشّكر وعظيم الامتنان، ووافر العرفان إلى كلّ من أسهم في دعمي من قريب أو من بعيد في إتمام هذا الإنجاز،

لاسيما الدكتورة **وردة** مسيلي، والأستاذ **سليم** مزهود

على دعمه الكبير وفضله العظيم خلال كلّ خطوة من خطوات إنجازنا لهذه المذكّرة، وتوجيهاته القيّمة، ونصائحه السّديدة.

مقدمة

مقدمة:

قد نحب شيئا أحيانا، ونجد مبررات لحبنا له، وقد لا نتبين أسباب استهوائنا له، ولعل أول سؤال يتبادر لذهننا هو لماذا الاستعارة في القرآن الكريم بالذات؟، ولماذا آيات الأخلاق والقيم دون غيرها من الآيات الأخرى؟

كان لنزول القرآن الكريم وما يزال الفضلُ الكبير في نشأة العلوم وتطور الفكر عند العرب والمسلمين، فقد دعا القرآن إلى العلم والبحث، وأمر العقل بالنظر والتدبر وحث الإنسان على الاجتهاد ونبذ التقليد، وكان لتوجيهاته الأثر الكبير في سطوع شمس الحضارة، واتجاه المسلمين نحو الاهتمام بالعلوم والفنون والثقافات المختلفة، فكان أنْ انتشرت الكتابة واتسعت دائرة التدوين، وبدأت العلوم تأخذ طابعا منهجيا سليما شيئا فشيئا، ولاسيما بعد الفتوحات الإسلامية، وما نتج عنها من انفتاح على الحضارات الأخرى، فكان أن وضعت المبادئ والأصول لمختلف العلوم منذ القرن الأول الهجري، وبالخصوص تلك المتعلقة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واللغة العربية، في القرن الثاني للهجرة بدأت اللغة العربية تشهد إنتاجا علميا ومؤلفات أصيلة في مختلف العلوم والفنون.

ويعد علم البلاغة من أبرز العلوم وأشرفها مكانة عند العرب والمسلمين، فقد ارتبط منذ نشأته بالقرآن الكريم، وكان أداة مهمة لفهم قضية الإعجاز، تلك القضية التي شغلت العلماء والدارسين منذ نزول القرآن، وكانت الكتب الخاصة بالإعجاز هي النواة الأولى التي أسهمت في نشأة هذا العلم وتطوره وازدهاره، حتى أصبح علما قائما بذاته، فيه من القواعد والأصول ما جعله أحد علوم العربية وأركانها الأساسية.

ومن أهم المواضيع التي أشغلت اهتمام المفكرين البلاغيين النقاد والفلاسفة قديما وحديثا هي الاستعارة، فقد كانت محطة للأنظار لدى مختلف التوجهات والتخصصات باعتبارها ركنا جوهريا مكينا في بنية أنساقنا الفكرية التصورية، وهي إحدى الدعائم الأساسية التي يرتكز عليها الخطاب ومعظم الأبحاث التي خاضت في موضوع الاستعارة لم تخرج عن إطار المقدمات الأرسطية، فقد شكل الإرث الأرسطي مرجعا ومنطلقا لها لبناء مقدمات مغايرة من حيث الأهداف والمنطلقات،

وهدفنا من هذه الدراسة هو شرح الاستعارة في آيات القرآن الكريم لاستنباط القيم والأخلاق والمبادئ والمفاهيم والأسس التي لابد أن نربي أبناءنا عليها.

كما كانت عنصرا من عناصر الكمال والجمال فيه، كما كانت وسيلة من الوسائل المهمة في أداء المعاني والأغراض الدينية المختلفة.

ولكني اعتمدت في بحثي هذا على بعض المصادر والمراجع نذكر منها: البيان والتبيين لجاحظ، وجواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي، الواضع في البلاغة لأحمد أبو المجد، والتشبيه والاستعارة ليوسف أبو العدوس وغيرها.

وقد اعتمدت في بحثي هذا خطة تتألف من فصلين، الأول وقفت فيه على تعريف الاستعارة وأقسامها، وكيفية إجرائها، أما الثاني فهو تطبيقي لتفسير الاستعارة في آيات الأخلاق والقيم، فقد قدمت بهذا البحث بمقدمة وبخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وفي الأخير أنهيتها بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا.

ولا يسعني في النهاية إلا أن آمل أن أكون قد وفقت ولو بشيء يسير في الوصول إلى الهدف الذي أصبو إليه وبتحليل الاستعارة بصورة مقبولة، وعلى كل حال فهو يبقى مجرد محاولة راجية من المولى أن يكون خطوة جادة في تحليل آيات القرآن الكريم في الصورة البيانية الأخرى.

الفصل الأول

أخلاق القيم في القرآن الكريم

أخلاق القيم في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو أصل الأخلاق الإسلامية، والإسلام يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك. والأخلاق في الإسلام قاسم مشترك على مختلف أوجه الحياة سياسية واجتماعية وقانونية وتربوية. وغاية الأخلاق في الإسلام بناء مفهوم التقوى الذي يجعل أداء العمل الطيب واجباً محتماً ويجعل تجنب العمل الضار واجباً محتماً، ويجعل الخوف من الله أقوى.

فالقيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير لأنها صالحة لكل زمان ومكان وإن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور وإن الحق سيظل هو الحق لا يتغير. ولذلك فإن أبرز قواعد الإسلام هو ثبات القيم وبالتالي ثبات الأخلاق وإن الالتزام الخلقي هو قانون أساسي يمثل المحور الذي تدور حوله القيم الأخلاقية فإذا زالت فكرة الالتزام قضي على جوهر الهدف الأخلاقي، ذلك انه إذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية وإذا انعدمت المسؤولية.

- **أهمية الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية:**

تُمَثّل الأخلاق والقيم الجانب المعنوي أو الرُّوحي في الحضارة الإسلامية، وأيضًا الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أي حضارة. وفي ذات الوقت تضمن سرَّ بقائها وصمودها عبر التاريخ والأجيال. وهو الجانب الذي إذا اختفى يومًا فإنه يُؤْذِنُ بزوال الدفء المعنوي للإنسان، الذي هو رُوح الحياة والوجود؛ فيصير.

وقد غادرت الرحمة قلبه، وضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره، ولم يَعُدْ يعرف حقيقة وجوده فضلًا عن حقيقة نفسه، وقد بات مُكَبَّلًا بقيود مادية لا يعرف منها فِكَاكًا ولا خلاصًا.

والحقيقة أيضًا أن هذا الجانب –جانب الأخلاق والقيم– لم يُوَفَّ حقُّه إلا في حضارة المسلمين، تلك التي قامت في الأساس على القيم والأخلاق، وبُعث رسولها خاصة

لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق ويكملها، وذلك بعد أن تشرذمت وتفرَّقت وأُهْمِلَتْ بين الأمم والحضارات.

تلك الأخلاق والقيم التي لم تكن يومًا نتاج تطور فكري على مرِّ العصور، وإنما كانت وحيًا أوحاه الله وشرَّعه رسول الإسلام محمد، فكان مصدرها التشريع الإسلامي منذ خمسة عشر قرنًا من الزما"[1].

ويمكننا القول إن الحاسة الخلقية انبعاث داخلي فطري، وأن القانون الأخلاقي قد طبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (الشمس 7 – 8) والواقع أن الإنسان العادي يستطيع أن يميز إلى حد ما، وفي كل ما يقوم به من أنواع السلوك، بين ما هو "خير"، وما هو "شر" وبين ما هو "محايد" لا ينفع ولا يضر، وذلك مثلما يميز في عالم المحسوس بين "الجميل "و"القبيح"، و"المجرد" من كل تعبير.

ولا يقتصر الأمر فقط على المعرفة، بل إن مظهر الفعل الحسن أو الفعل القبيح يثير فينا مشاعر مختلفة جدا، فنمتدح بعض أنواع السلوك، ونستهجن البعض الآخر، غير أن هذا القانون الأخلاقي المطبوع فينا ناقص وغير كاف، ليس فقط لأن العادة والوراثة وأثر البيئة، والمصالح المباشرة تفسد نوازعنا التلقائية، وتلقي أنواعا من الظِلال على نور بصيرتنا الفطرية، وليس فقط لأن شواغل الحياة في الدنيا تستوعب الجزء الأكبر من نشاطنا الواعي، بل إن ممارسة الأخلاق في أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة أخرى رئيسة.

"وهي أن الضمير إذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها وجد نفسه عاجزا في غالب الأحيان على أن يقدم في جميع الظروف "قاعدة" ذات طابع عام، تستأثر باعتراف الجميع، فإذا تجاوزنا حسدا معينا نجد أن "اليقين" الأخلاقي قد ترك مكانه للاحتمالات والتردد والمتاهات"[2].

---

1 عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن. دار البحوث العلمية، مؤسسة الرسالة ط3، 1400 هـ – 1980 م، الكويت، ص ي ب، ي ج.

2 – المرجع نفسه.

وهذا هو السبب الذي من أجله بعث الله في الناس، من حين لآخر، نفوسا متميزة ملهمة بالوحي الرباني، وتستطيع على مدى التاريخ الإنساني أن تضطلع برسالة إيقاظ الضمائر، وإزالة الغشاوة على النور الفطري الذي أودعه الله فينا، وهذه النفوس المصطفاة بتعاليمها الدقيقة التي تلقنها للناس تعمل على حصر الاختلافات بينهم في أضيق نطاق ممكن، وخاصة بالنسبة لتقدير الحكم الأخلاقي، وهكذا يجد النور الفطري ما يكمله ويقويه من وحي النور الإلهي (نور على نور) (النور 35).

تعريف الأخلاق:

لغة: من الخلق وهو الطبع والعارة، قال تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم)، ج أخلاق، وفي الحديث الشريف: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا)"[3].

اصطلاحا: الخلق صفة مستقرة في النفس – فطرية أو مكتسبة – ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.

تعريف القيم:

لفظ يطلق في الاصطلاح العام على مجموع التصورات الفردية والاجتماعية إزاء الواقع المادي والحركي، وهي تبني إجمالا وبشكل نسبي، للنسق الفكري اتجاهاته وفق معالم الصواب والخطأ، وللنظام السلوكي مواقفه وفق صوى القبول والرفض. وفي الاصطلاح الإسلامي يطلق اللفظ على أصول المنظومة الفكرية والأخلاقية، من أمهات الفضائل ومكارم الأخلاق، التي يهتدي بها العقل إلى السداد النوراني، والقلب إلى الإخلاص الإيماني، والجوارح إلى الصلاح الرباني.

وعليه فالأعمال تجليات القيم، وإن اختلفت صورها باختلاف محالها التي ترجع إلى العناصر الجوهرية الثلاثة، التي تلتئم بها حقيقة الإنسان في القرآن.

1– محمود السعدي القاموس الجديد. المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، 1991 م – 1411 هـ ، شارع زيروت يوسف، الجزائر، ص 319.

فالخلق منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، والإسلام يدعو إلى محمود الاخلاق وفضائل القيم وينهى عن مذمومها.

ونستطيع أن نقيس مستوى الخلق النفسي عن طريق قياس آثاره في سلوك الانسان، فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة. وعلى قدر قيمة الخلق في النفس تكون – بحسب العادة – آثاره في السلوك، إلا أن توجد أسباب معوقة أو صوارف صادة عن ظهور آثار الخلق في السلوك.

"وليست كل الصفات المستقرة في النفس من قبيل الأخلاق، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها عن جنس هذه الصفات كون آثارها في السلوك قابلة للحمد أو للذم، فبذلك يتميّز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية.

إن الغريزة المعتدلة ذات آثار في السلوك، إلّا أن هذه الآثار ليست مما يحمد الإنسان أو يذم عليه"1 .

فالأكل عند الجوع بدافع الغريزة ليس مما يحمد أو يذم في باب السلوك الأخلاقي، لكن الشره الزائد عن حاجات الغريزة العضوية أمر مذموم لأنه أثر لخلق في النفس مذموم، هو الطمع المفرط، وعكس ذلك أثر لخلق في النفس محمود، هو القناعة.

والحذر من وقوع مكروه أثر من آثار الغريزة حب البقاء، وليس محلا للمدح أو الذم في باب السلوك الأخلاقي، لكن الخوف الزائد عن حاجات هذه الغريزة أثر لخلق في النفس مذموم، هو الجبن، أما الإقدام الذي لا يصل إلى حد التهور فهو أثر لخلق في النفس محمود، هو الشجاعة.

1– عبد الرحمن حنبكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها. دار القلم ط5، 1420 هـ – 1999 م، دمشق سوريا، ص 10 – 11.

وهكذا سائر الغرائز والدوافع النفسية التي لا تدخل في باب الأخلاق، إنما يميزها عن الأخلاق كون آثارها في السلوك أمورا طبيعية ليست مما تحمد إرادة الإنسان عليه أو تذم.

أقسام الأخلاق:

1.**الخلق المحمود:** صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع الى سلوك ارادي محمود عند العقلاء، كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال، وإن خالف الهوى، وترك الباطل أو الشر أو القبح وإن وافق الهوى أو الشهوة وهو كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استحسانه.

2.**والخلق المذموم:** صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع الى سلوك ارادي مذموم عند العقلاء، كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح، وترك الحق أو الخير أو الجمال، اتباعا للهوى أو الشهوة، وهو كل سلوك فردي أو اجتماعي تلتقي النفوس البشرية على استقباحه واستنكاره.

مكارم الأخلاق والقيم في القرآن الكريم:

تدفع عناصر القاعدة الإيمانية في الإسلام المؤمنين إلى أن يتحلوا بالفضائل الخلقية وأن يتخلوا عن الرذائل وأن يلتزموا في حياتهم كل سلوك خلقي تدعو إليه مكارم الأخلاق وتعد على ذلك بالظفر برضوان الله واغتنام الأجر العظيم عنده سبحانه، وتحذر من مغبة ممارسة الرذائل الخلقية المحظورة، وممارسة ظواهرها فى السلوك وتنذر بسخط الله وبالعقاب الأليم عنده. ولذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الإيمان وهو من مكارم الأخلاق.

روى البخاري عن أبى هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).

وهكذا فالإيمان بالإسلام سلوك إرادي توجبه فضائل الأخلاق التي تدركها الأفكار العلمية وتستحسنها، كما تستقبح أضدادها، وتميل الفطر الوجدانية السليمة إلى ممارستها، وتنفر وتشمئز من أضدادها، ومن هذه الأخلاق نذكر منها:

1.الأخوة واجتناب الظن:

جاء ذكر الإخاء في القرآن الكريم بأنماط مختلفة خمساً وتسعين مرة، يشتمل بعضها على نماذج من قصص الإخاء والأخوة وما لها من تأثير في العواطف والمشاعر ويشتمل البعض الآخر على أحكام الميراث.

وفي قصص القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على عواطف الأخوة وتأثيرها في النفوس وتوضح ما ينبغي في الأخوة من تعاطف وتراحم وتواد وتعاون، فهذا يوسف عليه السلام يُؤوي إليه أخاه بنيامين ويُطمئن قلبه ويُطيب خاطره.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة يوسف الآية 69).

ومن أقوى روابط الأخوة ما ذكره القرآن عن موسى وهارون، اللذين كانت أخوتهما ولا تزال نموذجا للمحبة الصادقة والعواطف الكريمة ومثالا للتعاون على الخير والتكاتف في الجهاد والكفاح، فقد قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾ (سورة الفرقان الآية 35).

وحنان الأخت وشفقها على أخيها تتمثل في القرآن الكريم في مواضع متعددة من كتاب الله .

قال سبحانه وتعالى عن أخت موسى عليه السلام: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنْ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه 40).

ومن آداب الأخوة صون اللسان عن الوقوع في عرض الأخ أو ذمه غيبة أو وبهتانا.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (الحجرات 12).

فالمؤاخاة أو الإخاء من أروع القيم الإنسانية التي أرساها الإسلام للمحافظة على كيان المجتمع، وهي التي تجعل المجتمع وحدة متماسكة، كما وصف القرآن الكريم الأخوة بأنها نعمة من الله عز وجل.

فقال تعالى:

(واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (آل عمران 301)

2.الأمانة والصدق في إبداء الرأي:

"وممَّا ينبغي للمسلم وهو يستعمل حقَّه في إبداء رأيه أن يتوخَّى في ذلك الأمانة لصدق؛ فيقول ما يراه حقًّا، وإن كان هذا الحقُّ أمرًا صعبًا عليه؛ لأن الغرض من حرية الرأي إظهار الحقِّ والصواب وإفادة السامع به، وليس الغرض منه التمويه وإخفاء الحقيقة، وأن يَقْصِدَ بإعلام رأيه إرادة الخير، وألا يبغي برأيه ولا بإعلانه الرياء أو السمعة، أو التشويش على المُحِقِّ، أو إلباس الحقِّ بالباطل، أو بخس الناس حقوقهم، أو تكبير سيئات ولاة الأمور، وتصغير حسناتهم، وتصغير شأنهم، والتشهير بهم، وإثارة الناس عليهم"[5]

فالصدق من أفعال الله سبحانه وتعالى، ومن أصدق من الله قيلا ووعدا ووعيدا.

قال تعالى: (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المشركين) (آل عمران 95).

5- راغب السرجاني : الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية. موقع نصر رسول الله . ص 40.

والصدق من صفات عباد الرحمن وصفات النساء المؤمنات المقربات إلى الله تعالى: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) (المائدة 75)

ومن الدعاء المأمور به في القرآن الكريم قوله تعالى: (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) (الإسراء 80).

أما فيما يخص الأمانة فقد عظم القرآن شأنها وأوضح أهميتها إذ قال الله عز وجل (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) (الأحزاب 72)

وقوله أيضا: (ا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (الأنفال 27)

" لقد فرض الإسلام على المسلمين الأخذ بخلق الأمانة، وحرم عليهم أن يسلكوا مسالك الخيانة، فمن كان أمينا كان مطيعا لربه في إسلامه، ومن كان خائنا كان عاصيا لربه في إسلامه، ومن كان خائناً كان عاصياً لربِّه في إسلامه، وربما وصل إلى حالة كان فيه مجروح الإسلام والإيمان"[6].

والعفة والاحتشام وغض البصر والصوت:

العفة أو التعفف هي الترفع عن الدنايا، واجتناب ما يشين من فعل أو قول، والزهد في عرض الحياة الدنيا، وهي أيضا حبس النفس عن شهواتها ابتغاء وجه الله، ومن العفة الترفع عن سؤال الناس حتى مع اشتداد الحاجة، فقد امتدح الله أقواما بالتعفف.

قال تعالى: (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) (البقرة 273).

وأوصى القرآن الكريم القَيِّم على مال اليتيم بالتعفف عن الأكل منه إذا كان غنيا.

6-عبد الرحمن حنبكة الميداني الأخلاق الإسلامية وأسسها، ، دار القلم، ط 5، 1420 هـ - 1999 م، دمشق - سوريا، ص 647.

قال تعالى: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) (النساء 6)

ومما أمر الله تعالى في كتابه الكريم غض البصر عن التطلع إلى المفاتن في الرجال والنساء، فقد حث المؤمنين من الرجال أن يغضوا أبصارهم وألا يتطلعوا إلى النساء حتى لا يقعوا في حبائلهن أو يغويهم الشيطان فيلاحقوهن بالأطراف.

قال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (النور 30).

وقد حث النساء المؤمنات أيضا أن يغضضن من أبصارهن فلا يتطلعن إلى الرجال الغرباء لئلا يقعن فريسة لما قد يتسلل إلى قلوبهن من الإعجاب بهم والرغبة فيهم.

قال تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) (النور 31).

وغض الصوت من السمات التي يتحلى بها الإنسان الوقور وهو بحضور من يجب احترامه دليل على الأدب والحياء وعمار القلب بالتقوى والإيمان، قال تعالى: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (لقمان 19).

وقال أيضا: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) (الحجرات 3).

الاستئذان والسلام والتحية:

من الآداب التي أوصانا الله تعالى بها هي الاستئذان قبل الدخول للبيت، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ

لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (النور 27،28).

حتى بالنسبة لبعض أهل الدار وساكنيها، فقد أوجب القرآن عليهم الاستئذان في أوقات معلومة، يبدو أنها الأوقات التي يخلد فيها أصحاب الدار إلى الراحة، فيتخففون من ثيابهم أو يباشرون ما أحل الله لهم من متعة.

يقول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) (النور 58).

والسلام هو الله سبحانه وتعالى، وقد سمى نفسه بذلك في كتابه العزيز، فقال سبحانه وتعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) (الحشر 23).

والجنة دار السلام، أعدها الله لعباده المؤمنين ودعاهم وهداهم إلى سبيلها، قال تعالى: (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) (الأنعام 127).

والسلام تحية أهل الجنة يحيي بها بعضهم بعضا، وتحييهم بها الملائكة، قال تعالى: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) الأعراف 46).

والسلام تحية المؤمنين بعضهم لبعض، وهو وسيلة للتعارف بين المسلمين وزيادة المودة بين المتعارفين، قال تعالى: (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) (الأنعام 54).

وقال أيضا: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا) (النساء 86).

الثبات والصبر:

الثبات: الثبات من الصفات الطيبة التي يتصف بها المؤمن، ويشمل ذلك الثبات على قول الحق، واعتقاده.

يقول الله سبحانه وتعالى:

(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (سورة إبراهيم الآية 27).

ومن الثبات المحمود الصبر عند لقاء الأعداء.

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال الآية 45).

ويدعو المؤمنون الأبرار ربهم أن يثبِّت أقدامهم عند الروع.

يقول الله تعالى:

(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة الآية 250).

وقد وعد الله المؤمنين بأن يثَبِّت أقدامهم إذا صدقوا في الجهاد ونصرة الدين.

قال سبحانه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد 7).

ومما ثبَّت الله به رسوله والمؤمنين القرآن الكريم.

قال تعالى:

(وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (سورة هود الآية 120).

ومن فضل الثبات أن الله سبحانه وتعالى قد اختاره وصفا للكلمة الطيبة، إذ يقول جل وعلا:

(أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (سورة إبراهيم الآية 24).

الصبر:

ورد الصبر في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة بألفاظ مختلفة، وهو من عزائم الأمور ومن أعظمهما شأناً، إذ بالصبر تحل كثير من المشاكل وبالصبرِ تواجه الشدائد والأزمات.

قال الله تعالى:

(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (الشورى 43).

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصبر على كيد المشركين والمنافقين وأذاهم له وتكذيبهم له وتكذيبهم إياه.

قال تعالى:

(وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (يونس 109).

والصبر من صفات عباد الله الأخيار، فقد وصف الله به بعض الأنبياء وبعض المؤمنين من عباده، فقد صبر الأنبياء على أذى قومهم، وصبر المؤمنون على ما أصابهم من أذى في سبيل الله.

قال تعالى:

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) (آل عمران 16،17).

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطباً الخضر عليه السلام:

(قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً) (الكهف 69).

وقد ضرب إسماعيل عليه السلام مثلاً في الصبر لأمر أبيه، عندما أخبره أبوه إبراهيم بأنه رأى في المنام أن الله قد أوحى إليه بأن يذبحه قرباناً إليه سبحانه وتعالى، فأجابه بالسمع والطاعة والصبر لحكم الله.

قال تعالى:

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ) (الصافات 102).

أما أيوب عليه السلام فإنه يعتبر نموذجاً فريداً في الصبر على البلوى واحتمال المصاعب وآلام المرض.

قال تعالى:

(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (ص 44).

صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الضيافة

من عظيم ما أثنى به الإسلام أن الأسرة فيه لا تقف عند حدود الوالدين وأولادهما، بل تتسع لتشمل ذوي الرحم وأولي القربى من الأخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، فهؤلاء جميعا لهم حق البر والصلة التي يحث عليها الإسلام، ويعدها من أصول الفضائل، ومكارم الأخلاق، ويعد عليها بأعظم المثوبة، كما يتوعد قاطعي الرحم بأعظم العقوبة، فمن وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

قال تعالى: (هل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم 22 أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (محمد 22 – 23).

وعن جبير بن مطعم ε أن رسول الله ρ قال: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)، وقطع الرحم هو ترك الصلة والإحسان والبر بالأقارب، والنصوص كثيرة ومتضافرة على عظم هذا الدين، وذلك كله من شأنه أن يخلق مجتمعا متعاونا متآلفا متماسكا،

يتحقق فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى شيئا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه البخاري.

وحسن الجوار من مكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام في الكتاب والسنة، وقد التزمنا في هذا الحديث الاقتصار على ما ورد في القرآن الكريم عن مكارم الأخلاق، وقد أوصى القرآن الإنسان بجاره خيراً وأن يحسن إليه كما يحسن إلى والديه وذويه وأقربائه.

قال تعالى:

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً) (النساء 36).

وحفظ الجوار من صفات المؤمنين التي أوصاهم بها الله حتى ولو كان الجار المستجير من المشركين أو المخالفين في الدين.

قال تعالى:

(وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) (التوبة 6).

إكرام الضيف من السجايا العربية التي أيدها الإسلام وحث عليها واعتبرها من مكارم الأخلاق، وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تحث على إكرام الضيف وتشيد بالكرام.

وقد التزمنا في هذه الأحاديث الاقتصار على ما يرد في القرآن الكريم من حث على مكارم الأخلاق أو نهي عن مساوئها.

ومن إكرام الضيف حمايته من الأذى ومنع وقوع أي تعد عليه في جسمه أو ماله أو عرضه.

قال تعالى حكاية عن لوط عليه السلام إذ يعرض على قومه الزواج من بناته حماية لضيفه:

(وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) (هود 78).

وقال أيضاً:

(وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِي. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي) (سورة الحجر الآيات 6769).

ومن إكرام الصيف الترحيب به وتقديم الميسور من الطعام إليه دون مبالغة ولا تكلف.

قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام:

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) (سورة هود الآية 69).

وقد أشار القرآن إلى قوم مر بهم نبي الله موسى والخضر عليهما السلام فلم يضيفوهما بما يدل على استنكار موسى لصنيعهم.

قال تعالى:

(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً) (سورة الكهف الآية 77).

المساواة بين الناس والعدل:

"لقد أكد الإسلام على حق المساواة بين الناس جميعا، بين الأفراد والجماعات، وبين الأجناس والشعوب، وبين الحكام والمحكومين، وبين الولاة والرعية، فلا قيود ولا استثناءات، ولا فرق في التشريع بين عربي ولا أعجمي، ولا بين أبيض وأسود، ولا

بين حاكم ومحكوم، وإنما التفاضل بالعمل الصالح وحس الخلق"7، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى).

وقال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (البقرة 228).

يرتبط بحق المساواة حق آخر وهو العدل، ومن روائع ما يروى في هذا الصدد قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد عندما ذهب ليشفع في المرأة المخزومية التي سرقت: (والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) رواه البخاري.

فالعدل مما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، إذ به تستقيم الأمور وتسير في مسارها الصحيح، وبه تطمئن النفوس إلى نيل حقوقها واستيفائها والوفاء بها، قال تعالى: (إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَالإِحْسَـانِ وَإِيتَـاءِ ذِي الْقُرْبَـى وَيَنْهَـى عَـنْ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل 90).

"لقد جعل الله سبحانه وتعالى من التقوى الأساس الذي يتفاضل فيه الناس في دنياهم، وفي المنزلة التي سيحصلون عليها في آخرتهم، فأخرج متاع الدنيا من أي أساس يحكم به على الناس مهما جل خطره في الحياة الدنيا، ولذا سقط من الاعتبار عامل العرق أو الجنس أو المال أو الرفعة أو الجاه، وإنما هو العمل الصالح النابع من تقوى الله عز وجل، والإيمان به"[8].

"وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ" (سورة سبأ الآية 37).

والعدل من صفات الهداة والحق.

7 عبد الرحمن حنبكة الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها. دار القلم، ط 5، 1420 هـ – 1999 م، دمشق – سوريا، ص 249.

8 – محمد عبد الرحمن عدس: من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم. دار الآفاق، 1990، وحدة الرغاية ، الجزائر، ص 49.

قال تعالى:

(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف 159).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل في الحكم بين الناس، لأن ذلك يعيد الحقوق لأصحابها، ويقضي على أسباب العداوة والبغضاء التي قد تتولد في النفوس نتيجة التنازع والتخاصم، فإذا صدر الحكم بالعدل رضيت به نفوس المتقاضين، وزالت به خصومة المتخاصمين.

قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) (النساء 58).

ومن العدل المأمور به أيضاً العدل بين الزوجات لمن أوجبت عليه ظروفه الزواج بأكثر من واحدة من النساء.

قال تعالى:

(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُو)" (النساء 3).

ومن العدل المأمور به، العدل في الشهادة، لأن الشهادة الصحيحة تميز الحق من الباطل، وتحفظ الحق لصاحبة. وترد المعتدي عن عدوانه.

قال تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنْ الْآثِمِينَ) (المائدة 106).

"فالعدل يعد من القيم الأساسية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من مقومات الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية، حتى جعل القرآن إقامة القسط (العدل) بين الناس هو هدف الرسالات السموية كلها"[9]، فقال تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأرسلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (الحديد 52)

العفو والرحمة:

العفو من مكارم الأخلاق، وقد اتصف الله سبحانه وتعالى بالعفو، فهو سبحانه العفو الغفور.

قال تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً) (سورة النساء الآية 43).

وقال تعالى:

(فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً) (النساء 99).

والعفو من نعم الله سبحانه وتعالى التي يتفضل بها على من يشاء من عباده.

قال تعالى:

(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ) (البقرة 187).

والعفو بين الناس دليل عن صدق الإيمان وسبيل إلى عمار القلوب بالمحبة والوئام، وقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه أن يعفوا عن أصحابهم، فقال:

9- راغب السرجاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية. موقع نصر رسول الله ص 71.

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران 159).

أما الرحمة من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم، وقد وصف نفسه بهاتين الصفتين في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وإضافة إلى إثباتها في البسملة في مستهل كل سور القرآن الكريم عدا سورة التوبة، فقد وردت كلمة الرحمن في القرآن الكريم سبعاً وخمسين مرة، نورد منها بعض الشواهد التي وردت فيها كلمة الرحمن.

قال تعالى في مستهل سورة الفاتحة:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة 1-3).

وقال سبحانه:

(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرحمن الرَّحِيمُ) (سورة البقرة 163) .

(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً) (سورة مريم الآية 18) .

وقال سبحانه:

(الرحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه 5).

وقال سبحانه:

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرحمن وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) (الأنبياء 26).

وقد وردت كلمة الرحيم في القرآن الكريم صفة لله سبحانه وتعالى مائة وأربع عشرة مرة، اقترنت فيها جميعاً، عدا ثلاث مرات، بصفات أخرى من صفاته الحسنى جل وعلا.

قال تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (سورة البقرة الآية 37).

وهو سبحانه الغفور الرحيم الذي يغفَّر لعباده المؤمنين إذا تابوا واتبعوا هدى النبي عليه السلام.

قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، (آل عمران 31).

إذ لولا رحمته لما تَمكنَ الإنسان من خوض لجج البحر سعياً وراء الرزق بصيد الأسماك أو نقل البضائع أو السفر من بلد إلى بلد التماساً للرزق.

والله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين.

قال تعالى: " قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ " (سورة الأعراف الآية 151).

وقد كتب الله سبحانه وتعالى على نفسه الرحمة، ووعد بها عباده المؤمنين الذين يتوبون إليه مما اقترفوه من ذنوب دفعهم إليها الجهل ويستغفرونه ويرجون رحمته.

قال تعالى:

(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنعام 54). وقال أيضا: " فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ " (سورة الأنعام الآية 147).

المحبة والإحسان:

المحبة بين الناس من مكارم الأخلاق، وهي من الأسس التي تبني عليها المجتمعات الخيرة فتزدهر بالسعادة والرخاء وتنعم بالرفاهية والهناء.

وأول ما يجب على المؤمن استشعاره من مشاعر المحبة حبُّ الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

(وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) (البقرة 165).

وحب الله تعالى يكون باتباع شريعته التي جاء بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم طلباً لمغفرة الله ورحمته.

قال الله سبحانه وتعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (آل عمران 31).

"إن الشعور بالمحبة نحو الآخرين أصل ترجع إليه مكارم خلقية كثيرة كالتعاون وإرادة الناس ومشاركتهم الوجدانية في السراء والضراء، وأن يحب لهم مثلما يحب لنفسه، وأن يعاملهم بمثل الذي يحب أن يعاملوه به"[10].

ومن شأن الشعور بالمحبة نحو الآخرين السلامة من كثير من الأمراض الخبيثة كالحسد والبغضاء والغيبة والنميمة، والظلم والعدوان، إلى غير ذلك.

ولكن الإنسان يتغلب على عاطفة الحب المادية التي قد تختلج في نفسه، وأن يوجه نفسه إلى عمل الخير والبر.

قال سبحانه وتعالى:

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ) (البقرة 177).

10- عبد الرحمن حنبكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها. دار القلم، ط 5، 1420 هـ - 1999 م، دمشق - سوريا، ص 249.

وقال أيضا: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران 92).

وقال: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) (الإنسان 8).

فتبادل المحبة بين المسلمين قاعدة من قواعد الإيمان وأثر من آثاره القلبية، كما أنها أساس عام من أسس مكارم الأخلاق الاجتماعية.

والإحسان ظهر في مواضيع متعددة بمعاني مختلفة، فقد ورد أكثر من مائة وتسعين موضعا، فقد أنعم الله به على عبادة من الإحسان إليهم بتصويرهم في أحسن صوره وإحسان خلقهم.

قال تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ) (السجدة 7).

وقال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأرض قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (غافر 64).

ثم أحسن الله إلى الإنسان أيضاً بأن رزَقَه رِزقاً حسناً ومتعه من نعمه وفضله.

قال تعالى: (وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فضلٍ فضله وإِن تولَّوا فإِنِّي أَخاف عليكم عذاب يومٍ كبِيرٍ) (هود 3).

فقد طلب الله تعالى إلى عباده أن يحسنوا أعمالهم ووعدهم خير الجزاء إن فعلوا.

قال تعالى:

(وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة 195).

ومن الإحسان المأمور به في القرآن إحسان القول، لأن الكلمة الطيبة تنزع الغل من النفوس وتمنع استفحال الخصومات وتبطل نزعات الشيطان.

قال تعالى: " وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلآنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً " (سورة الإسراء الآية 53).

وأمر أيضا بالإحسان إلى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين.

قال تعالى: " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً" (سورة النساء الآية 36).

ومن أحسن عمله وأحسن في قوله وأحسن إلى من يحب الإنسان غليه واتقى الله عملا صالحا يرضيه، فقد استحق محبة الله له، فقد منَّ عليهم بأن يكون معهم، قريبا منهم برحمته، يحوطهم بعنايته، ويكلؤهم برعايته، ويشملهم برحمته، ويهديهم سبيله.

قال تعالى: " وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ "(سورة الأعراف الآية 56).

الزواج وتربية الأولاد:

"خلق الله الإنسان ليستخلفه في الأرض ويستعمره فيها، ولن يتم هذا إلا إذا بقي هذا النوع، واستمرت حياته على الأرض يزرع ويصنع ويبني ويعمر، ويؤدي حق الله عليه، ولكي يتم ذلك ركب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية، تسوقه، بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فردا، وبقاءه نوعا"[11].

فقد شرع الله الزواج لبني الإنسان لإسعاد حياتهم، ولكي تستمر هذه السعادة وتتحقق على خير وجه لابد من أن يسود الحب والوئام والوفاق بين الزوجين، وأن يعامل كل منهما زوجه بالحسنى، ويتودد إليه بكل ما يزيد من أواصر الرحمة بين الأسر المتصاهرة.

11- يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام . دار التراث العربي، ط11، 1397 هـ - 1977 م، القاهرة. مصر، ص 125.

وقال سبحانه: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (سورة الروم الآية 21).

والزوجية سنة الله في خلقه، تستقيم بها الحياة وتنسجم، وتستمر جيلاً بعد جيل، فالبشر يتزاوجون ليتناسلوا، وتتجدد الحياة بتجدد الأجيال، والأنعام تتزاوج لتتكاثر حتى تغطي احتياجات الإنسان، وتمده بما يحتاج إليه من غذاء وكساء.

قال سبحانه: " فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنْ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ " (سورة الشورى الآية 11).

ولهذا سن الإسلام أولا أمر الزواج، وهدف من ورائه حفظ النوع الإنساني وإمداد المجتمع بأفراد صالحين يُستخلفون في الأرض، ويقومون بمسئولية البناء والإعمار التي هي مقتضى الخلافة فيها، وكذلك هدف من ورائه إلى حصانة الفرد والمجتمع من الرذيلة والتردّي الأخلاقي"[12].

"فالزواج مسؤولية وليس بمتعة بل هو أشق مسؤولية اجتماعية على الإطلاق، لهذا كان من جليل حكمة الله أن قرن هذه المسؤولية بما يغري الناس بها، فربطها بأعظم متعة نفسية على الإطلاق"[13].

الأبناء في الإسلام هم زهرة الحياة الدنيا وزينتها، وهم بهجة النفوس وقرة الأعين، وقد اعتنى الإسلام بالأبناء عناية خاصَّة

فمن المؤكد أن الولد ينشأ على الإيمان والتقوى ويتدرج على الفضيلة والأخلاق، ويظهر أمام المجتمع بأفضل ما يظهر به إنسان ناضج العقل مكتمل الخلق حسن السيرة والسلوك، سمح المعاملة حسن السيرة، كريم المعشر، وكل هذا يعود إلى "القدوة في التربية التي هي من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقيا وتكوينه

12- راغب السرجاني : الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية. موقع نصر رسول الله. ص 40.

13 - محمد سعيد رمضان البوطي: من الفكر والقلب. دار الهدى، ط1، 1990، وحدة الرغاية، الجزائر، ص 130.

نفسيا واجتماعيا... ذلك أن الوالد هو المثل الأعلى في نظر الطفل والأسوة الصالحة في عين الولد، يقلده سلوكيا ويحاكيه خلقيا من حيث يشعر أو لا يشعر"[14].

(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) (الطور 21).

وقال: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) (الفرقان 74).

من الأمور المقررة في شريعة الإسلام أن الولد مفطور منذ خلقته على التوحيد الخالص، والدين القيم، والإيمان بالله ...[15] . مصداقا لقوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم 30)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة...) رواه البخاري.

وأيضا الموعظة والنصيحة من أثر كبير في تبصير الولد حقائق الأشياء، ودفعه إلى معالي الأمور، وتحليه بمكارم الأخلاق، وتوعيته بمبادئ الإسلام، ويؤكد ذلك بقوله تعالى: (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (لقمان 13).

وفي اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتربية الصغار وتعليمهم، توجيه الأولياء أن يربوا صغارهم ويعلموهم، حتى ينشأوا نشأة إسلامية فاضلة، وهذه التنشئة الإسلامية توفر على المجتمع الإسلامي كثيرا من مشكلات المستقبل، فتربية الأجيال الناشئة على الإسلام أسلم طريق لبناء المجتمع الإسلامي الفاضل"[16].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع).

14- عبد الله علوان تربية الأولاد في الإسلام. دار الشهاب، ج 2، باتنة – الجزائر، ص 633.

15 المرجع نفسه . ص 665.

16- عبد الرحمن حنبكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها. دار القلم، ط 5، 1420 هـ - 1999 م، دمشق سوريا، ص 665.

بر الوالدين والأمر بالمعروف:

إن عطف الوالدين على الولد من أبرز صور الرحمة، وهي تفرض على الولد أن يقابل رحمة والديه له بأن يرحمهما، فيخفض لهما جناح الذل من الرحمة، ويدعو لهما بالرحمة الشاملة للمغرفة والعفو، ودخول الجنة، قال تعالى : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (الاسراء 24).

وقد اعتبر الله تعالى "بر الوالدين من أعظم واجبات الصلة الاجتماعية، وكان عقوق الوالدين مقاربا لدركة الشرك بالله، وكان الأمر بالإحسان للوالدين في بعض النصوص الإسلامية عقب الأمر بعبادة الله والنهي عن الإشراك به"[17]، قال سبحانه: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) (الإسراء 23).

وقال تعالى: (ووصينا الاسنان بوالديه حسنا) (العنكبوت 8)

وقد نهانا الله تبارك وتعالى عن نهرهما ومواجهتهما بكلمة "أف" فقال تعالى: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً) (الإسراء 23).

وهذا الواجب في التنشئة التربوية السليمة للطفل، إنما يقوم به أساسا الوالدان، لأنهما المسؤولان الأولان في هذه الفترة من الحياة كمسؤوليتهما في الإرضاع والحضانة والحماية"[18].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنكاره ومحاولة تغييره من مكارم الأخلاق التي حرص عليها الإسلام، لما فيهما من خدمة اجتماعية وصيانة للمجتمعات عن الانزلاق في مزالق الانحراف.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران 104).

17- عبد الرحمن حنبكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها.دار القلم، ط 5، 1420 هـ - 1999 م، دمشق سوريا، ص 20.

18- عبد المحسن محمد الهاشمي: لمحات نفسية في القرآن الكريم. ، مكتبة رحاب – الجزائر، ص 63.

وقال أيضا: (لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (النساء 114).

إن تعليم الناس واجباتهم الحسية مهمة عظيمة قام بها القرآن كاملة على أكمل وجه، وهذه المهمة هي الهدف الرئيسي من تعليمه.

وحين تلتقي مجموعة الوسائل المتخذة لاكتساب الأخلاق الإسلامية والإلزام بمنهجها الرباني ضمن الأسس التربوية العامة- تتهيأ الظروف والشروط الممتازة لضمان صلاح أكبر نسبة من الأفراد.

فالتدرج في البناء التربوي، ومعاملة كل طبع بما يلائمه، وتصيد المناسبات الملائمة، والقدوة الحسنة، والمجتمع الإسلامي أمور كفيلة بتحقيق الهدف من بناء الفرد المسلم المتخلق بأخلاق الإسلام على قدر استعداده، وبناء الأمة الإسلامية التي يكثر فيها الخير ويقل فيها الشذوذ.

أما الشاذون القليلون فتنفذ فيهم العقوبة، تخلصا منهم أو تأديبا وعبرة وعظة لمن تحدثهم أنفسهم بأن يسلكوا مثل طريقتهم، إذا كان شذوذهم الأخلاقي موجبا للعقوبة، ومجمع يصل إلى هذا المستوى مجتمع مثالي لا محالة.

الفصل الثاني

مفهوم الاستعارة وأنواعها

- **نشأة الاستعارة:**

الاستعارة نوع من الصور البيانية والصور البيانية جزء من البلاغة، ولدراسة الاستعارة لا بدّ من معرفة نشأة البلاغة.

يرى بعض البلاغيين أنه كان للبلاغة اليونانية أثر على علم البيان العربي، ويرى آخر أن أرسطو هو المعلم الأول للمسلمين في علم البيان، وأن التاب والمتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا في البيان وتطوره، وجلهم أعاجم، وأن متكلمي المعتزلة بتضلعهم في الفلسفة اليونانية من مؤسسي البيان العربي، وأنه حتى منتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان لا يزال في دور الطفولة، وكان خصبا جامعا للروح العربي والفارسي واليوناني، ثم وجد من ذلك الوقت بيانان: عربي بحت، ويوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو، وحتى اليوناني البحت تأثر باليونان.

"إن المشتغلين بالفلسفة اليونانية قد اشتركوا مع الجماعات الأخرى في خدمة البيان واستعانوا بطرق اليونانيين ومناهجهم في دراسة البلاغة والتأليف فيها، كما أن للفرس وما ترجم من قواعد بلاغتهم أثرا ما في البلاغة العربية".[1]

وإذا فإن في البيان العربي عناصر ثلاثة: عنصر عربي، وعنصر فارسي، وعنصر يوناني، ولا شك أن واضعي البيان قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة إلى حد كبير.

فالعلماء يختلفون اختلافا كثيرا في وضع البيان العربي، فبعضهم يذهب إلى أن واضعه هو الجاحظ، الذي كان أول من اهتم به، وألف في بحوثه، وجمع آراء كثيرة فيه في كتاب البيان والتبيين، وهو الدكتور طه حسين ومن ذهب مذهبه، ويرى البعض أن سيبويه إمام النحو العربي المتوفى عام 88 هـ هو الذي بدأ بوضع علم البيان والبلاغة من حيث رجحت أن ابن المعتز مهد الطريق للكتبة في البلاغة العربية.

ويذهب كثيرون إلى أن واضع البيان العربي هو عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام 471 هـ، ومن هؤلاء صاحب الطراز علي بن حمزة العلوي.

1- محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد السعدي فرهود وعبد العزيز شرف: الأسلوبية والبيان العربي . الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1991، الزيتون – القاهرة، ص 30-31

وإن شئنا التعرف على تاريخ الاستعارة التي هي من الصور البيانية لدى البلاغيين فإننا نجد الجاحظ (255 هـ) من أوائل من التفتوا إليها وعرفوها وسموها وأفاضوا بعض في الحديث عنها.

فالاستعارة عنده "هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"

ورد ذلك التعريف في تعليقه على البيت الثالث من الأبيات التالية:

يا دار قد غيرها بلاها كأنما بقلم محاها

أخر بها عمران من بناها وكر ممساها على مغناها

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

فقد علق الجاحظ على البيت الثالث هنا بقوله: "وطفقت يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها، عيناها ها هنا للسحاب. وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه".[1]

وكثيرا ما يستعمل الجاحظ في تعليقاته على النصوص عبارات "على التشبيه" و"على المثل" و"على الاشتقاق" وهو يعني بها الاستعارة أو المجاز بمعناه العام الذي تندرج تحته الاستعارة، وليس في ذلك من غرابة، فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة وكلمة التشبيه ترد عند تحليل الاستعارة أو إجرائها، ثم هي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه.

وجاء بعد الجاحظ ابن المعتز (296 هـ) فتحدث عن الاستعارة وعدها أول باب في كتابه "البديع" وأورد لها أمثلة من الكلام البديع من نحو قوله تعالى (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) "الزخرف 4"، وقوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) "الإسراء 24"، وقول الشاعر "والصبح بالكوكب الدري منحور"، وقد علق على هذا الكلام بقوله: "وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها، مثل أم الكتاب، ومثل جناح الذل، ومثل قول القائل الفكرة مخ العمل، فلو كان قال "لب العمل" لم يكن بديعا"، وهذا التعليق يمكن استشفاف مفهوم ابن المعتز للاستعارة.

1- الجاحظ: البيان والتبيين

ثم نلتقي بعد ابن المعتز بقدامه بن جعفر المتوفى سنة (337 هـ)، فقد عقد قدامة في كتابه "نقد النثر" بابا للاستعارة تحدث فيه عن الحاجة إليها في كلام العرب ومفهومها عنده، كما تحدث عن الاستعارة المكنية، وإن لم يسمها الاسم الذي عرفت به فيما بعد.

فعن الأمرين الأولين يقول قدامة: "وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها في كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وليس هذا في لسان غيرهم، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ربما كانت مفردة له، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره، وربما استعاروا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز، فيقولون إذا سأل الرجلُ الرجلَ شيئا فبخل به عليه: "لقد بخَّله فلان"، وهو لم يسأله ليبخل، وإنما سأله ليعطيه، لكن البخل لمّا ظهر منه عند مسألته إياه، جاز في توسعهم ومجاز قولهم أن ينسب ذلك إليه".[1]

ومنه قول الشاعر: فللموت ما تلد الوالدة

والوالدة إنما تطلب الولد ليعيش لا ليموت، لكن لما كان مصيره إلى الموت جاز أن يقال: "للموت ولدته"

فالاستعارة في نظر قدامى بن جعفر تتمثل في استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على سبيل التوسع والمجاز.

وعن الاستعارة المكنية التي التفت إليها ولم يسمها باسمها الاصطلاحي المعروف يقول: "ومن الاستعارة ما قدمناه من إنطاق الربع وكل ما لا ينطق إذا ظهر من حاله ما يشاكل النطق، ومما جاء من هذا النوع من القرآن قوله تعالى: (يوم يقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) {سورة ق. الآية: 30}. لما جاز أن تحتمل مزيدا من الكافرين حسن أن يقال: قالت وهل من مزيد؟، وكذلك قوله: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إيتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) {فصلت. الآية: 11}، وذلك لمّا كانتا عن إرادته من غير استصعاب عليه ولا عصيان له، جاز أن يقال إنهما قالتا أتينا طائعين، فكل من "جهنم، أسماء والأرض" الواردة في الأمثلة السابقة استعارة مكنية حذف فيها كل من المشبه به وهو شخص أو إنسان، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "النطق والقول".

1- قدامى بن جعفر: نقد النثر . ص 24

"ومن البلاغيين من يسمي هذا النوع من الاستعارة "التشخيص"، حيث تمثل فيه المعاني والجمادات إلى أشخاص تكتسب كل صفات الكائنات الحية أيا كانت، وتصدر عنها أفعالها.

وهم يعدون هذا النوع من أجمل الصور البيانية لما فيه من التشخيص والتجسيد وبث الحركة في الجمادات وتصوير المعنوي في صورة محسة حية".[1]

ولهذا فإن للاستعارة أهميتها في باب البيان العربي، تلك الأهمية التي جعلت إماما من أئمة البلاغة هو عبد القاهر الجرجاني ينظر إليها وإلى المجاز والتشبيه والكناية على أنها عمد الإعجاز وأركانه والأقطاب التي تدور البلاغة عليها، إذ يقول: "ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز إلا ذكرها وجعلها العمد والأركان فيما يوجب الفضل والمزية، وخصوصا الاستعارة والمجاز، فإنك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون وأول ما يوردون".[2]

1- عبد العزيز عتيق: علم البيان. دار النهضة العربية، ط2، بيروت، لبنان، ص 171

2- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز. مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، مصر ص 329- 330.

تعريف الاستعارة:

استعار يستعير استعارة منه الشيء: طلب منه.

1. **لغة:** رقع الشيء أن يعيره إياه وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوله منها إلى يده.

وعلى هذا يصح أن يقال استعار إنسان من آخر شيئا، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به، ومن ذلك يفهم ضمنا أن عملية الاستعارة لا تتم غلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما، أو بمعنى آخر الاستعارة مأخوذة من العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص العار إليه.

ويؤكد هذا المعنى ويوضحه قول ابن الأثير: "الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية إنّما سمّي هذا القسم من الكلام استعارة لأنّ الأصل في الاستعارة المجازيّة مأخوذ من العارية الحقيقيّة التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعيرَ النّاسُ من بعضهم شيئا من الأشياء ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما سبب معرفةٌ، ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير منه، وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض.

فالمشاركة بين اللّفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشّخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر".

ومن هذا التعريف نلاحظ أن هناك صلة بين المعنى اللغوي أو الحقيقي للاستعارة، ومعناه المجازي، إذ لا يمكن أن نستعير أحد اللفظين للآخر في واقع الأمر إلا إذا كان هناك صلة معنوية تجمع بينهما.

2. **اصطلاحا:** أول من وقف على الاستعارة أبو عمرو بن العلاء، إذ قال: "كانت يدي في يد الفرزدق، وأنشدته قول ذي الرمة:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى وَساقَ الثُرَيّا في ملاءته الفَجرُ

قال: فقال لي: أ أرشدكَ أم أدعكَ؟ قلت: بل أرشدني. فقال: إن العودَ لا يذوي أو يجف الثرى، وإنما الشعر "حتى ذوى العودُ والثرى".ثم قال أبو عمرو: ولا أعلم قولاً أحسن من قوله: "وساق الثريا في ملاءته الفجرُ" فَصَيَّر للفجر ملاءةً، ولا ملاءة له، وإنما استعار هذه اللفظة، وهو من عجيب الاستعارات".[1]

وعرفها الجاحظ بقوله: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"

وعرفها ابن المعتز بقوله: "نّما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها".

وعرفها قدامة بن جعفر بقوله: "هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التوسّع والمجاز".

وعرفها القاضي الجرجاني: "فأمّا الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام، وعليها المعوّل في التوسّع والتصرّف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ، وتحسين نظم النثر".

وعرفها مرة أخرى بقوله: "ما اكتفي فيها بالاسم المستعار على الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر"

وعرفها أبو الحسن الرّماني: "الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة"، ومثّل لها بقول الحجاج: إن أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها".

وعرفها الآمدي بما معناه: "هي استعارة المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه".

وعرفها أبو هلال العسكري بقوله: "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض".

1- المثل السائل

وعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الاستعارة في الجملة أن يكون اللّفظ الأصل في الوضع اللّغوي معروفا تدلّ الشواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية".
وعرفها السكاكي بقوله: "الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبّه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك المشبه ما يخص المشبه به".
وعرفها ضياء الدين بن الأثير بقوله: "الاستعارة هي طيّ ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه، والاكتفاء بذكر المستعار الذي هو المنقول" وعرفها تعريف آخر بقوله: "الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه".
وعرفها الخطيب القزويني: "الاستعارة مجاز علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وكثيرا ما نطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا".

هذه طائفة من تعريفات الاستعارة تبين مفهومها لدى كبار رجال البلاغة العربية في عصورها المختلفة، وهي وإن اختلفت عباراتها فإنها تكاد تكون متفقة مضمونا.
ومن كل التعريفات السابقة تتجلى الحقائق التالية بالنسبة للاستعارة:

1. الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمجازي.
2. وهي في حقيقتها ليست إلا تشبيها مختصرا حذف أحد طرفيه (المشبه والمشبه به).
3. قرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية.
4. تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى:

المشبه به: مستعارا منه.
المشبه: مستعارا له.
اللفظ: مستعارا.
وهو ما يطلق عليهم بأركان الاستعارة.

ولابد فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، بل لا بد أيضا من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي بأن يكون اسم جنس أو علم جنس، ولا تتأتى الاستعارة في العلم الشخصي (يعني أن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به لذلك لا تكون علما لأن الجنس يقتضي العموم، والعلم ينافي ذلك بما فيه من التشخيص) لعدم إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية، لأن تصور الجزئي نفسه يمنع من تصور الشركة فيه إلا إذا أفاد العلم الشخصي وصفا يصح اعتباره كليا فتجوز استعارته"[1].

ولكي نبين أركان الاستعارة ندرس المثال التالي في قوله تعالى في سورة (مريم الآية4) (واشتعل الرأس شيبا).

المشبه: الشيب.

المشبه به: النار.

المستعار: الفعل اشتعل.

المستعار منه: وهو المشبه به النار.

المستعار له: وهو المشبه الشيب.

تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين:

1. **استعارة تصريحية:** وهي التي يصرح فيها بلفظ المشبه به أو هي التي استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

ولبيان هذا النوع من الاستعارة نشرح الأمثلة التالية:

- قال تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)، (إبراهيم آية:2)، ففي الآية الكريمة مجازان لغويان في كلمتي "الظلمات والنور"، قصد بالأولى "الضلال، وبالثانية "الهدى والإيمان"، فقد استعير "الظلمات" للضلال لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبهما، كذلك استعير "النور" للهدى والإيمان لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية، والقرينة الت تمنع من إرادة المعنى الحقيقي في كلا المجازين قرينة

1- عبد العزيز عتيق: كتاب علم البيان. دار النهضة العربية، ط2، بيروت – لبنان ص ..

خالية تفهم من سياق الكلام، وهي قوله تعالى: (كتاب أنزلناه)، فإن القرآن الكريم نزل لهداية الناس وإخراجهم من الضلال والكفر إلى النور والإيمان.

وكقول الشاعر:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

ففي البيت هنا أربع مجازات لغوية، وهي دموع كاللؤلؤ حذف المشبه وأبقى المشبه به (اللؤلؤ)، فهي تصريحية، والعيون كالنرجس، حذف المشبه (العيون) والتصريح بالمشبه به على طريق الاستعارة التصريحية، والخدود كالورد، فحذف المشبه (الخدود) وصرح بالمشبه به (وردا)، والأنامل أو الشفاه كالعناب (ثمر أحمر) حذف المشبه (الأنامل) وصرح بالمشبه به (العناب)، والأسنان كالبرد حذف المشبه (الأسنان) وصرح بالمشبه به (البرد) على سبيل الاستعارة التصريحية.

- وكقولنا: كلمت قمرا أطل من النافذة.

فلفظ القمر معناه الحقيقي الكوكب المعروف، والمعنى المجازي المقصود هو الفتاة (الجميلة)، والعلاقة مشابهة الفتاة للقمر في الجمال، والقرينة (لفظ) كلمت لأن الكلام يكون للإنسان لا للقمر، وهذا ما نسميه بالاستعارة التصريحية لأننا صرحنا بالمشبه به (القمر) وهو أقوى في وجه الشبه من المشبه، والقرينة لفظية.

وإذا تأملت المجاز اللغوي في كل هذه الأمثلة الثلاثة رأينا أنه تضمن تشبيها حذف منه لفظ المشبه واستعير بدله لفظ المشبه به ليقوم مقامه بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه مبالغة.

فكل مجاز من هذا النوع يسمى استعارة، ولما كان المشبه به مصرحا به في هذا المجاز سمي استعارة تصريحية.

2. **استعارة مكنية:** وهي ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه ورمز له بشيء من لوازمه، وهذه اللازمة تسمى "تخييلا"، ولبيان ذلك نشرح الأمثلة التالية:

- قوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) (الفتح. الآية:3).

هنا شبه المعاهدة على التضحية بالأنفس في سبيل الله طلبا لمرضاته بدفع السلع في نظير الأموال، واستعير المشبه به للمشبه واشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على

دفع أنفسهم في سبيل الله، وشبه اطلاع الله على مبايعتهم ومجازاته على طاعتهم بملك وضع يده على ملكه ورعيته، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو اليد على طريق الاستعارة المكنية.

- وكقول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نَمْ فالحوادث كلّهن أمان

المجاز اللغوي في كلمة (العناية)، فالذي يفهم من البيت أن الشاعر يريد أن يشبه (العناية) بإنسان، وأصل الكلام: العناية كامرأة لاحظتك عيونها، ثم حذف المشبه به (المرأة) فصار: العناية لاحظتك عيونها، على تخيل أن العناية قد تمثلت في صورة امرأة، ثم رمز للمشبه به المحذوف بشيء من لوازمه هو "لاحظتك عيونها" والذي هو القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

كما ظهر أيضا في قول الحجاج في خطبته في أهل العراق: "إني رأيت رؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها"، فالمجاز اللغوي هنا في كلمة (رؤوسا)، وأصل الكلام على التشبيه (إني لأرى رؤوسا كالثمرات قد أينعت وحان قطافها، ثم حذف المشبه به وهو (الثمرات)، فصار الكلام (إني رأيت رؤوسا قد أينعت وحان قطافها) على تخيل أن الرؤوس قد تمثلت في صورة ثمار، ثم رمز للمشبه به المحذوف بشيء من لوازمه هو (قد أينعت وحان قطافها) ولما كان المشبه به في هذا النوع محتجبا سميت استعارة مكنية.

3. **الاستعارة التخييلية:** هي المكنية من جهة المستعار

- ومثال ذلك قوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) فقد استعار الجناح من الطائر، والجناح محس (محسوس)، والذل معنوي عقلي، فارتباط الجناح بالذل قائم على التخيل أي العقل، فالملابسة عقلية خيالية، وليست مادية حسية، واجتماع المادي بالمعنوي جزء من عقل العرب ومنهج التوسط الجامع بين المادة (الجناح) والمعنى (الذل).

- وذلك أيضا في قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقد شبه المنية بالسبع بجامع الاغتيال في (كل)، واستعار السبع للمنية وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الأظفار على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وقرينتها لفظة "أظفار"، ثم أخذ الوهم في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة أظفار استعارة تخييلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية، وقرينتها إضافتها إلى المنية، ونظرا على أن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية، فهي لازمة لها لا تفارقها، لأنه لا استعارة دون قرينة.

4. الاستعارة التحقيقية: هي تناسب بين المادي المستعار للمستعار له، أي إذا كان المستعار له محققا عًا، بأن يكون قد نقل إلى أمر معلوم يمكن أن يشار إليه إشارة حسية، كقولك: رأيت بحرا يعطي، أو كان المستعار له محققا عقلا بأن يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة عقلية كقوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة. الآية: 5) أي الدين الحق، فالاستعارة تحقيقية، إن لم يكن المستعار له محققا لا حِسًّا ولا عقلا فالاستعارة تخييلية.

المذاهب في التخييلية: وهي أربعة:

- **الأول: مذهب السلف، والخطيب:** وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها، والتجوز إنما هو في (الإثبات لغير ما هوله) المسمى استعارة تخييلية، فهما متلازمان، وهي من المجاز العقلي.

- **الثاني: مذهب السكاكي:** وهو أن قرينة المكنية، تارة تكون تخييلية، أي مستعارة لأمر وهمي: كأظفار المنية، وتارة تكون تحقيقية، أي مستعارة لأمر محقق «كابلعي ماءك» وتارة تكون حقيقة «كأنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخييلية والمكنية، بل يوجد كل منهما دون الآخر .

وقد استدل السكاكي: على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله :

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

فإنه قد توهم: أن للملامة شيئا شبيهاً بالماء، واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية، ورده العلامة (الخطيب) بأنه لا دليل له فيه، لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية، فيكون قد شبه الملام، بشيء مكروه، له ماء، وطوى لفظ المشبه به، ورمز اليه بشيء من لوازمه، وهو الماء، على طريق التخييل.

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضا: لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف، أي الخروج عن الطريق الجادة، لما فيه من كثرة الاعتبارات، وذلك: أن المستعير يحتاج إلى أمر وهمي، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي، واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ، الأمر الوهمي، فهذه اعتبارات ثلاثة، لا يدل عليها دليل، ولا تمس إليها حاجة.

- **الثالث: مذهب صاحب الكشاف:** وهو أنها تكون تارة مصرحة تحقيقية، وتارة تكون تخييلية؛ أي مجازاً في الاثبات.

- **الرابع – مذهب صاحب السمرقندية**[1]: وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما: أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع، وعدمه وعند صاحب السمرقندية على الامكان وعدمه.

ولكن الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية وما يجعل نفسه تخييلا على مذهب السكاكي – أو استعارة تحقيقية: على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد، وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك – أو إثباته تخييلا على مذهب السلف، وصاحب الكشاف في بعض المواد – وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك – وبين ما يجعل زائداً عليها قوة الاختصاص أي الارتباط بالمشبه به – فأيهما أقوى ارتباطاً به فهو القرينة وما سواه ترشيح). وذلك كالنشب في قولك مخالب المنية نشبت بفلان فان المخالب أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسبع، من النشب لأنها ملازمة له دائماً، بخلاف النشب .

1– صاحب السمرقندية: هو أبو القاسم الليثي (المتوفي سنة 1483) فقيه وعالم باللغة والأدب، والرسالة السمرقندية من كتبه أيضا، وله أيضا بلوغ الأرب في تحقيق استعارات العرب.

أنواع الاستعارة باعتبار الملائم:

ويقسم البلاغيون الاستعارة تقسيما آخر باعتبار الملائم إلى مرشحة، ومجردة، وطلقة.

1. **الاستعارة المرشحة:**

وهي ما ذكر فيها ما يلائم أو ما يناسب المشبه به (المستعار منه) من صفة نحوية أو معنوية، مثل قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) (البقرة – 16).

ففي هذه الآية الكريمة استعار تصريحية في لفظة اشتروا، استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي لفظية، وهي الضلالة، وإذا تأملت هذه الاستعارة رأيت أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه به (الاشتراء)، وهذا الشيء هو "فما ربحت تجارتهم"، ومن أجل ذلك تسمى استعارة مرشحة.

ومن أمثلة الاستعارة المرشحة أيضا قول الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينـــا

وفي هذا البيت استعارة مكنية في (الدهر)، فقد شبه الدهر بجمل، ثم حذف المشبه به (الجمل) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الكلاكل)، وقد تمت لهذه الاستعارة قرينتها وهي "إثبات الكلاكل للدهر"، وإذا تأملنا هذه الاستعارة المكنية التي استوفت قرينتها رأينا أنها قد ذكر معها شيء يلائم المشبه به "الجمل"، وهذا الشيء هو "أناخ بآخرينا"، ولهذا تسمى استعارة مرشحة.

من ذلك يتضح أن الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية إذا استوفت قرينتها وذكر معها ما يلائم المشبه به فإنها تسمى استعارة مرشحة.

2. **استعارة مجردة:**

وهي التي قرنت بملائم المستعار له (أي المشبه) نحو قول القائل: "لا تتفكهوا بأعراض الناس فشر الخلق الغيبة".

ففي قوله "لا تتفكهوا" استعارة تصريحية، فقد شبه فيها التكلم في الأعراض "بالتفكه" بجامع أن بعض النفوس قد تميل إلى كل، ثم اشتق من التفكه (تفكه بمعنى تكلم في العرض) والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي "بأعراض الناس"، وإذا

تأملنا الاستعارة رأينا أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه (التكلم في الأعراض)، وهذا الشيء هو "فشر الخلق الغيبة"، ولهذا السبب يقال إن الاستعارة مجردة.

ومن أمثلة الاستعارة المجردة قول الشاعر:

وعد البدر بالزيارة ليلا فإذا ما وفى قضيت نذوري

ففي البيت استعارة تصريحية في كلمة "البدر" بجامع الحسن في كل، ثم استعير المشبه به "البدر" للمشبه "المحبوبة"، على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هنا لفظية هي "وعد" فالاستعارة قد استوفت قرينتها، ولكن إذا تأملناها رأينا أنه قد ذكر معها شيء يلائم المشبه "المحبوبة" وهذا الشيء هو "الزيارة والوفاء بها"، ولذكر ملائم المشبه مع الاستعارة تسمى استعارة مجردة.

3. الاستعارة المطلقة:

وهي التي تقرن بما يلائم المستعار منه أو المستعار له، وسميت مطلقة لأنها أطلقت كما يقويها أو يضعفها بذكر ملائمات المستعار منه أو المستعار له، ومثالها قوله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية).

ففي لفظة "طغى" استعارة تصريحية، فقد شبه فيها "الزيادة" بالطغيان، بجامع تجاوز الحد في كل، ثم اشتق من "الطغيان" الفعل طغى، بمعنى زاد على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي "الماء".

وإذا تأملنا هذه الاستعارة بعد استيفاء قرينتها رأيناها خالية مما يلائم المشبه به والمشبه (المستعار منه، والمستعار له)، ولهذا تسمى استعارة مطلقة.

ومثالها أيضا في قول الشاعر زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبــد أظفاره لم تقلم

استعارة الأسد للرجل الشجاع، وذكر ما يناسب المستعار له في قوله: " شاكي السلاح مقذف"، وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله " له لبــد أظفاره لم تقلم"، وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما، فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

إن اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينة مقالية أم حالية، فلا تعد قرينة المصرحة تجريدا، ولا قرينة المكنية ترشيحا، بل الزائد على ما ذكر، والترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه، لا شيء شبيه به، وكأن الاستعارة غير موجودة، والإطلاق أبلغ من التجريد، فالتجريد أضعف الجميع، لأنه به تضعف دعوى الاتحاد، وإن اجتمع ترشيح وتجريد فتكون الاستعارة في رتبة المطلقة بتعارضهما يتساقطان، كما سبق تفصيله، وكما يجري هذا التقسيم في التصريحية يجري أيضا في المكنية.

ويؤيد هذا الرأي السكاكي في كتابه مفتاح العلوم: " علم أن الاستعارة في نحو: عندي أسد. إذا لم تعقب بصفات أو تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة وإنما يلحقها التجريد أو الترشيح إذا عقبت بذلك، ثم إن الضابط هناك أصل واحد وهو أنك قد عرفت أن الاستعارة لا بد لها من مستعار له ومستعار منه فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له سميت مجردة ومتى عقبت بصفات أو تفريع كلام ملائم للمستعار منه سميت مرشحة"[1].

أنواع الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار:

1. الاستعارة الأصلية:

تكون الاستعارة أصلية إذا كان اللفظ المستعار اسم جنس جامد غير مشتق يصدق على كثيرين سواء كان اسم جنس حقيقة"[2]، كقولنا: "زارنا قمر سحرنا بكلامه"، فلفظ قمر اسم للجنس (النوع)، وهو اللفظ المستعار للرجل الجميل، فالاستعارة هنا أصلية لأنها من الاسم إلى الاسم، وقد دل المذكور مباشرة على المقصود.

1- السكاكي: مفتاح العلوم

2- أحمد أبو المجد: الواضح في البلاغة. دار جرير، ط1، 2010م - 1431 هـ، عمان - الأردن، ص 70.

ومثال ذلك أيضا قول التهامي يرثي ولده:

يا كوكبا ما كان أقصر عمره وكذلك عمر كواكب الأسحار

ففي إجراء هذه الاستعارة يقال شبه الابن بالكوكب بجامع صغر الجسم وعلو الشأن في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به، والقرينة نداؤه.

وإذا تأملنا اللفظ المستعار وهو (الكوكب) رأيناه اسما جامدا غير مشتق، ومن أجل ذلك يسمى هذا النوع من الاستعارة (استعارة أصلية).

"إذا كان اللفظ المستعار اسم جنس تأويلي، وهو (اسم عين)[1] كلفظ حاتم سحبان ونحوهم من كل علم اشتهر مدلوله بنوع من الوصف وصار علما على الذات المعروفة، ولذلك تؤول فيه فجعل اسم جنس لكل ذات متصفة بالكرم، ومن هنا صح جعله استعارة لكل كريم بادعاء دخوله في جنس "حاتم" وفردا من أفراده، فاستعارة لفظ حاتم للرجل الكريم أصلية لأن اللفظ المستعار وهو "حاتم" اسم جنس تأويلا، لأنه يصدق بعد التأويل على كل فرد من أفراد الكريم.

إذا كان اللفظ المستعار "اسم معنى يصلح لأن يصدق على كثيرين مثل الفهم، الكتابة"[2] كقولك "آلمني قتل محمد أخاه"، أي إذلاله ، فقد استعير لفظ القتل وهو المشبه به للمشبه وهو الإذلال استعارة أصلية لأن اللفظ المستعار اسم جنس معنى كالذكاء والفهم وغيرها، فاسم الجنس ما دل على ذات صالحة لأن يصدق على كثيرين، ولو تأويلا، من غير اعتبار الوصف من الأوصاف في الدلالة، فاسم الجنس يشمل اسم الذات، واسم العين واسم المعنى، ولا يشمل الأعلام الشخصية التي لم تشتهر بصفة، فإذا كان اللفظ المستعار اسم جنس بهذه المعاني الثلاثة سميت الاستعارة أصلية.

1- أحمد أبو المجد: الواضح في البلاغة.

2- يوسف أبو العدوس التشبيه والاستعارة: دار المسيرة، ط1، 2007 م – 1427 هـ، عمان – الأردن، ص140.

2. الاستعارة التبعية:

"هي ما كان فيها اللفظ المستعار اسما مشتقا من الفعل أو ما كان اللفظ المستعار أداة"[1]، ومثال ذلك قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة) (الأعراف – 154)، ففي هذه الآية الكريمة استعارة تصريحية، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به، وفي إجرائها نقول: شبه انتهاء الغضب عن موسى (بالسكوت) بجامع الهدوء في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو (السكوت) للمشبه وهو (انتهاء الغضب)، ثم اشتق من (السكوت) بمعنى انتهاء الغضب (سكت) الفعل بمعنى انتهى.

ومن أمثلة ذلك في:

أ- اسم الفاعل:

مثل قوله تعالى: (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) (الحاقة: 5-6)، فحقيقة عاتية شديدة، وحقيقة طاغية عالية.

وقوله تعالى: (فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامديم) (الأنبياء : 15)، إذ استعير (خامدين) لتدل على نهاية أولئك الأشرار الذين خمدوا كما خمدت النار المؤذية.

وكذلك قول الشاعر يخاطب طائرا:

أنت في خضراء ضاحكة من بكاء العارض الهتـن

الشاهد في قوله (ضاحكة) فهي بمعنى مزهرة.

فقد شبه الازهار بالضحك، بجامع التألق والبياض في كل منهما، ثم استعير (الضحك) للأزهار، ثم اشتق من الضحك بمعنى الأزهار ضاحكة بمعنى مزهرة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة هي إسناد ضاحكة إلى ضمير خضراء، أي جنة خضراء، فالاستعارة هنا وقعت في (ضاحكة) وهي اسم الفاعل.

وكقولنا: (كثير عطاياك شاهد بكرمك)، أي دال عليها ففي كلمة (شاهد) استعارة تبعية شبهت الدلالة الواضحة بالشهادة في إيضاح المعنى ثم استعير الشهادة للدلالة الواضحة.

1- عبد العليم بوفاتح : فنون البلاغة العربية. مطبعة ابن سالم، ط1 2009م – 1430 هـ، الأغواط – الجزائر، ص 245.

ب- اسم المفعول:

مثل قوله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) (الحاقة. الآية: 11)

فالطغيان هو مجاوزة الحد في الظلم لا يسند إلى الماء، وإنما يسند إلى الإنسان، فدل على أن المراد بالطغيان المعنى المجازي وهو الكثرة التي جاوزت الحد وهو ما يصح نسبتها إلى الماء، فإسناد الفعل إلى الفاعل وهو الماء غير صحيح.

وكذلك قوله تعالى: (ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا) (آل عمران. الآية: 112)، فالضرب معناه الحقيقي نصب الخيمة ونحوها، ولا يصح نسبتها إلى نائب الفاعل وهو الذلة لأنها أمر معنوي، فدل ذلك على أن المراد بالضرب معنى يناسبه وهو الحكم، ويكون المعنى حُكِم عليهم بالذلة، فقرينة الاستعارة هي نائب الفاعل وهو الذلة، أو يكون تسلط الفعل على معنى يناسب المفعول.

ونقول لمن ضرب ضربا شديدا: "هذا مقتولنا زيد"، فقد شبهت الضرب الشديد بالقتل، ثم استعرته له واشتققت منه اسم المفعول.

وأيضا قول الشاعر:

جُمِع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا

فالقتل والإحياء لا يقع إلا على ذي نفس، فدل ذلك على أن المراد بالقتل معنى يناسب البخل وهو الإزالة، وأن المراد بالإحياء معنى يناسب الكرم، وهو الإكثار، فكأنه قال: أزال البخل أحيا السماح شبه إزالة البخل بالقتل ثم استعير القتل للإزالة واشتق منه قتل بمعنى أزال، وشبه إذاعة الشيء بإحيائه ثم استعير الإحياء للإزالة، واشتق منه أحيا بمعنى أذاع.

ج- الصفة المشبهة:

مثل قوله تعالى: (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين) (الأنبياء. الآية: 14-15).

فقد شبه القوم بعد أن مسهم عذاب الله بالحصيد الذي أصابه الهلاك والخمود، وقوله أيضا: (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) إذ استعير كريم للرزق، وهو صفة ملاصقة للإنسان.

وكقوله أيضا: (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)
فالعقم صفة للمرء أو المرأة التي لا تلد، استعيرت للدلالة على الريح التي تفسد ما يعترضها.

د- اسم المكان:

مثل قوله تعالى: (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالو يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (يس. الآية: 51 – 52)، فشبه الموت بالرقاد، والقبر بمكان الرقاد، ومن هنا يمكن القول أن أصل الرقاد هو النوم، أو حقيقة الموت، والاستعارة أبلغ، لأن النوم أظهر من الموت، والاستيقاظ أظهر من الإحياء بعد الموت، لأن الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة، وليس كذلك الموت والحياة.
إن كلمة (مرقد) تدل على الثبات المؤقت، وهنا تختلف في دلالتها من (الأجداث)، والفرق أن (الأجداث) توضح رأي المتحدث (الخطاب الإلهي) في المخبر عنهم، وفي مرقدنا المخبر عنهم يصفون حالهم بأنهم كانوا نائمين، وهنا نلاحظ أن كلمة (مرقد) اسم مكان، فيكون مشبها، أما إذا اعتبرناه (مصدرا ميميا) فالاستعارة حينئذ أصلية.

هـ- اسم الآلة:

ومثال ذلك قوله تعالى: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) (الشعراء – 84)، فاستعار اللسان لخلود الذكر وسيرورة الحديث، ويمكن لنا القول إنه بالرجوع إلى السياق العام للآية هو بالتأكيد يقع ضمن نص سردي، أن الاستعارة هنا وظفت (اللسان) في إعطاء استباقية في سيرورة الحدث وليس الحديث وحده، وبمعنى آخر يتمنى على الله أن تنجح دعواه ويصير له أتباع مؤمنون بالدعوة لذاتها لا لنجاح صاحبها وتملكه الأمر، وإذا عرفنا ذلك أدركنا وظيفة هذا النص السردي الموظف في إطار تاريخي آتي (دعوة محمد صلى الله عليه وسلم) فهو يريد أن يوصل رسالة أن الإيمان المطلوب يخالفه التظاهر الخارجي بل التماهي الداخلي، ويعزز هذا الفهم كثرة حديث القرآن الكريم نفسه عن المنافقين.

وقول كثير:

رمتني بسهم ريشة الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

الفتاة بالسهم الذي هو أداة من أدوات الحرب.

و- اسم التفضيل:

ومثاله قوله تعالى: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا)، فأشد وأقوم استعيرا ليدلا على أهمية صلاة قيام الليل وأجرها العظيم.

ز- الضمير:

ومثاله قول خليل جبران:

شاك إلى البحر واضطراب خواطري فيجيبني برياحه الهوجـاء

فهو يشبه البحر بإنسان يجيب الشاعر، ويتجسد ذلك في الضمير المستتر المقدر فاعلا للفعل يجيبني، ومن ناحية أخرى يمكن القول أن الشاعر لم يسأل البحر حتى يجيب على سؤاله، وإنما شكا له الحب ولوعته، فالبحر رغم عظمته واتساعه لم يستطع أن يتمالك نفسه مما أدرك من معاناة الشاعر، فوجب بمعنى خفق واضطرب.

ح- اسم الإشارة:

ومثاله قوله تعالى: (هذا وإن للطاغين لشر مئاب) (ص. الآية: 55)، فقوله (هذا) استعارة، لأنه إنما يستعمل حقيقة فيما كان قريبا مشارا إليه، فالمجاز في الإشارة داخل ههنا فيما يعرض من أحواله في القرب والبعد.

في الموقع الإعرابي:

أ. **المبتدأ:** ومثاله قول المتنبي يمدح بني أوس:

وعجبت من أرض سحاب أكفهم من فوقها وصخورها لا تورق

فاستعار لفظة السحاب الواردة بموقع مبتدأ للدلالة على جودهم وسخائهم.

ب. **الخبر**: ومثاله قول عنترة:

وسيفي كان في الهيجا طبيبا يداوي رأس من يشكو الصداعا

فاستعار لفظة طبيب الواقعة خبرا للدلالة على من يقطع الرؤوس فيزيل كلامها.

ت. **الفاعل**: ومثاله قول المتنبي:

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المَشرِقُ

فاستعار لفظة شموس فاعلا للدلالة على الممدوحين.

ث. **المفعول به**: ومثاله قوله تعالى: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (النحل 112)، فاستعار لفظة لباس الواقعة مفعولا به لتقريب صورة العذاب الذي أوقعه الله بهؤلاء الناس.

ج. **الحال**: ومثاله قول أبي العتاهية:

أتته الخلافة منقادة إليه تجـرر أذيالها

فهو يستعير لفظة منقادة الواقعة حالا للدلالة على الحال التي وصلت فيها الخلافة.

ح. **الصفة**: ومثاله قول خليل مطران:

ثاوٍ على صخر أصم وليت لي قلبا كهذي الصخرة الماء

إذ يستعير صفة الصمم وهي صفة بالبشر للدلالة على قساوة الصخر وعدم إطاعته لما يراد منه بجامع التشابه مع الأصم في عدم إجابة المنادي وقد يكون مرد شاعر توضيح طراوة قلبه وانشغاله بلوعة الحب وتذكر الحبيبة التي يهاتف طيفها.

وينبغي الإشارة ههنا إلى أن الحديث عن الصفة بشكل عام يستدعي الحديث عن الصفات اللونية عندما تدخل التركيب الاستعاري، فاللون غير قابل للتحليل المعنوي، ولا يمكن تجزئة حقله الدلالي إلى وحدات معنوية صغيرة، ولعل هذا النمط من الاستعارات بدأ بـ "بودلير" الشاعر الفرنسي، ثم انتشر على ألسنة الشعراء.

ومن ذلك قول محمود درويش:

البحر أبيض

والسماء ...

قصيدتي بيضاء ...

والتسامح أبيض ...

والهواء ...

وفكرتي بيضاء ...

خ. **المنادى**: ومثاله قول التهامي يرثي ابنه:

يا كوكبا ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحـار

فاستعار لفظ كوكب للدلالة على ابنه الذي مات، ويلاحظ أن كواكب الأسحار لا تزول ولكن وقت ظهورها قصير، والتعبي بالكوكب في حد ذاته يحتاج إلى وقفة، فالكوكب غير النجم، والعرب تسمي ما يظهر في الأسحار نجوما، فلماذا المختار هو الكوكب؟، هل لأن قوة الإضاءة فيه ليست من قوته وإنما من الانعكاس فقط؟، وهنا يمكن أن نبرز اختياره للكوكب على أساس أن ابنه يكتسب أهميته من خلال كم المشاعر المتبادلة بينهما.

د. **الاسم المجرور**: ومثاله قول كثير:

رمتني بسهم ريشة الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

فقد استعار لفظ (السهم) المجرور للتعبير بها عن لحظ عيون المحبوبة، بجامع التأثير في كل منهما.

ذ. **الظرف**: ومثاله قوله تعالى: (فنبذوه وراء ظهورهم) (آل عمران 187)، فالنبذ وراء الظهر هو أن تلقي الشيء خلفك أمر حسي، ثم وقع مستعرا للتعرض للغفلة وأنه أمر عقلي، والجامع زوال المشاهدة.

الاستعارة في الأفعال:

1. **في الفعل الماضي:** ومثال ذلك قوله تعالى: (أتى أمر الله) (النحل 1) شبه الاتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، واستعير الإتيان في الماضي الإتيان في المستقبل، واشتق منه أتى بمعنى يأتي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

2. **في الفعل المضارع:** ومثال ذلك قوله تعالى: (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) شبه إخراج النهار من الليل بالسلخ وهو من سلخ جلد الشاة بعد ذبحها.
وقوله أيضا: (يحيي الأرض بعد موتها) شبه تزيين الأرض بالنبات ذي الخضرة النضرة بالإحياء.

3. **في الفعل الأمر:كما في** قوله تعالى: (فاصدع بما تومر وأعرض عن المشركين) (الحِجْر 94)، شبه الأمر بتبليغ الرسالة وإنفاذ الأوامر بالصد وهو الكسر بالزجاج ونحوه.

الاستعارة في الحروف:

هناك عدد من الحروف تقع فيها الاستعارة منها:

1. **الاستعارة باللام:** أوردها السكاكي مستشهدا عليها بقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) (القصص 8)، شبهت العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط في الواقع بالعلة الحقيقية التي هي المحبة والتبني بجامع المطلق ترتب شيء على شيء، ثم استعيرت اللام من معناها الحقيقي، وصور ترتيب العلة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلة الحقيقية عليه، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة دخول اللام على العداوة والحزن.

2. **الاستعارة بـ "لعل"**: وقد أوردها السكاكي في مثل قوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (البقرة 21)، ويعلق السكاكي قبل أن يورد هذه الآية بقوله: "فتشبه حال المكلف الممكن من فعل الطاعة والمعصية مع الإرادة منه أن يطيع باختياره بحال المرتجي المخير بين أن يفعل وأن لا يفعل، ثم تستعير بجانب المشبه "لعل"، جاعلا قرينة الاستعارة علم المعاني بالذات الذي لا يخفى عليه خافية.

3. **الاستعارة بـ "هل"**: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) فالمعنى الحقيقي لكلمة "هل" أنها أداة استفهام، لكنها في الآية الكريمة تفيد معنى التمني، وذلك لسر بلاغي دقيق، و"هل" تنزيل المتمني بعيد الحصول أو المستحيل الحدوث منزلة الممكن قريب الوقوع، إبرازا لكمال العناية به، والرغبة في تحققه، فقد شبه مطلق التمني بمطلق الاستفهام وبجامع الطلب في كل، ويمكن أن يدخل في هذا الباب جميع الحروف التي تأتي بمعاني حروف أخرى.

7. الاستعارة التمثيلية:

تنقسم الاستعارة من حيث الإفراد والتركيب إلى مفردة ومركبة، فالمفردة هي ما كان المستعار فيها لفظا مفردا كما هو الشأن في الاستعارة التصريحية والمكنية، أما المركبة هي ما كان المستعار فيها تركيبا، وها النوع من الاستعارة يطلق عليها البلاغيون اسم 'الاستعارة التمثيلية"، وهم يعرفونها بقولهم: "هي تركيب استعمل في غير معناه الحقيقي لعلاقة تشبيهية بين المعنى الحقيقي والمجازي"[1]. مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلين بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعددة، وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى، ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه، ويسمى الاستعارة التمثيلية نحو: الصيف ضيعت اللبن، يضرب لمن فرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن

1- سميح أبو مغلي : علم الأسلوبية والبلاغة . دار البداية، ط1، 2011 م – 1432 هـ عمان – الأردن، ص 39-40.

لا يمكنه الحصول عليه فيه، ونحو: إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، يضرب لمن يتردد في أمر فتارة يقدم وتارة يحجم، ويقال لمن يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه: اليد لا تصفق وحدها، وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه: عاد السيف إلى قرابه وحل الليث منيع غابه، وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل: قطعت جهيزة قول كل خطيب.

ومثال ذلك في قول المتنبي:

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

يقال لمن لم يرزق الذوق لفهم الشعر الرائع.

فهذا البيت يدل وضعه الحقيقي على أن المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مرا، ولكن المتنبي لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعري، وضعف في إدراكهم الأدبي، فهذا التركيب مجاز قرينته حالية وعلاقته المشابهة والمشبه هنا حال المولعين بذمه والمشبه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مرا في فمه.

ولذلك يقال في إجراء هذه الاستعارة: شبهت حال من يعيبون شعر المتنبي لعيب في ذوقهم الشعري بحال المريض الذي يجد الماء العذب الزلال مرا في فمه بجامع السقم في كل منهما، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي قرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحرُ

إذا قالت حذامُ فصدقــوهــا فإن القول ما قالتْ حـذامُ

متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامَــه إذا كنتَ تبنيهِ وغيرُك يهدمُ

فهذه الأبيات شبهت حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل عمله، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية وتخييلية:

أ. **التحقيقية** هي المنتزعة من عدة امور متحققة موجودة خارجا – كما في الأمثلة السابقة.

ب. **والتخييلية** هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في ا لخارج ولا في الذهن[1]، وتسمى الأولى «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى (إنا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها) (الأحزاب 72)

الآية على احتمال فيها فانه لم يحصل عرض وإباء واشفاق منها حقيقة، بل هذا تصوير وتمثيل، بأن يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء، مع كبر أجرامها، وقوة متانتها، فامتنعن وخفن من حملها، بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به، للمشبه استعارة تمثيلية.

وإذا فشت وشاعت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها تكون مثلا لا يغير مطلقا، بحيث يخاطب به المفرد والمذكر وفروعهما بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الأول، وإن لم يطابق المضروب له.

ولذا: كانت هذه الاستعارة محط أنظار البلغاء، لا يعدلون بها الى غيرها إلا عند عدم إمكانها، فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، إذ مبناها تشبيه التمثيل: الذي قد عرفت أن وجه الشبه فيه هيئةٌ منتزعة من أشياء متعددة ومن ثم كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون اليه، ويتفاوتون في إصابته، حتى كُثرا في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عمّا ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة، وسمو الخيال، تكون البلاغة في الاستعارة.

1– السيد الهاشمي : جواهر البلاغة. المكتبة العصرية، ط1، 2011، صيدا، بيروت، ص276– 277.

"وأبلغ أنواع الاستعارة «المُرشّحة» لذكر ما يناسب المستعار منه فيها «بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المُستعار منه.

ثم تليها «المطلقة» لترك ما يُناسب الطرفين فيها، بناء على دعوى التساوى بينهما ثم تليها «المجردة» لذكر ما يناسب المستعار له فيها، بناء على تشبيهه بالمستعار منه"[1].

ولابد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة، من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، ومن كون التشبيه وافياً بافادة الغرض، ومن عدم شم رائحة التشبيه لفظاً، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليا، لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإلغازا.

تقسيم الاستعارة المصرّحة باعتبار الطرفين :

1. **الاستعارة الوفاقية:** هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد، لعدم التنافي[2] وبمعنى آخر: "هي الاستعارة الت يكون فيها المشبه والمشبه به لفظين غير متنافرين أو متضاربين، وهي لفظان يكون اجتماعهما في شيء ما ممكنا لما بينهما من الاتفاق، وأغلب الاستعارات – في العادة – من هذا النوع"[3].

ومثال ذلك قوله تعالى (والصبح إذا تنفس) (التكوير 18) حيث شبه الصبح بكائن حي، بقرينة "يتنفس" وطرف الاستعارة هما (الصبح) و (الكائن الحي)، وهما لفظان متوافقان ولا مانع من التقائهما عقلا، فهي – إذن – استعارة وفاقية.

2. **الاستعارة العنادية:** هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما، وبمعنى آخر هي الاستعارة التي يكون فيها المشبه والمشبه به متنافرين أو متضادين، بحيث لا يمكن التقاؤهما عقلا بسبب التنافر، ومثال ذلك قوله تعالى: (أو من كان ميتاً فأحييناه)؛ (الأنعام. الآية: 122)، فقد شبه الإنسان الحي الضال بالميت، و(الحياة والموت) متنافران لا يمكن اجتماعهما عقلا، فهي إذن استعارة عنادية.

---

1 – السيد الهاشمي : جواهر البلاغة

2– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص 295.

3– عاطف فضل محمد: البلاغة العربية. دار المسيرة، عمان – الأردن، ط1، 2011 م – 1432 هـ ص 258– 259.

وفي الآية استعارة وفاقية في قوله: (فأحييناه)، حيث شبه الإنسان المهتدي بالحي، والهداية والحياة أمران متوافقان، مما يجوز اجتماعهما عقلا، وقد تستخدم الاستعارة العنادية للدلالة على أغراض معنوية منها.

أ. **التهكم والسخرية:** فقد يسمى الشيء بغير اسمه لغرض السخرية، والتهكم كقول الأستاذ للطالبالكسول: "أجب يا عبقري"، ففي كلمة (عبقري) استعارة عنادية لأن القائل شبه الكسول بالعبقري (وهما أمران متنافران)، كل ذلك من أجل السخرية والتهكم.

ب. التفاؤل: فقد يشبه الشيء الذي ينفر منه الإنسان ويخافه بشيء آخر ينفضه من أجل التفاؤل، ومن ذلك تسمية العرب من لدغته الأفعى (سليما)، وسميت الصحراء (مفازة)، فتشبيه اللديغ بالسليم والصحراء بالمفازة استعارة عنادية هدفها بعث التفاؤل في النفس.

ت. التلميح والتطرف: وذلك عندما يسمى الشيء بنقيض اسمه لغرض المداعبة والمزاح، كأن تسمي القبيح جميلا، فنقول مثلا: "زارنا القمر"، فقد شبهنا القادم (وهو الإنسان القبيح) بالقمر، فكانت الاستعارة عنادية من قبيل المزاح والمداعبة.

تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع:

الاستعارة المصرحة باعتبار (الجامع) نوعان:

1) **عامية:** "وهي القريبة المبتذلة التي لاكتها الألسن، فلا تحتاج إلى بحث: ويكون الجامع فيها ظاهراً، نحو: رأيت أسداً يرمى"[1].

2) **وخاصية:** "وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً، لا يُدركه إلا أصحاب المدارك (من الخواص)"[2]، كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان:

غمرُ الرِّداء إذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقابُ المال

1- السيد الهاشمي: جواهر البلاغة. المكتبة العصرية، ط1، 2011، صيدا، بيروت، ص270- 271.

2- المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

غمر الرداء كثير العطايا والمعروف، استعار الرداء للمعروف لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرِّداء ما يلقى عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب: لأنّ الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب.
وهذه الاستعارة: لا يظفر باقتطاف ثمارها إلاّ ذووا الفطر السليمة والخبرة التامة.

بلاغة الاستعارة

بالنظر إلى أن الاستعارة في الأصل تشبيه فإن بلاغتها تظهر من خلال مقارنتها بالتشبيه، فإذا كان التشبيه يجمع بين الطرفين المتباعدين ويقربهما (أي الطرفين) لما بينهما من وجوه الشبه التي يمكن ابتكارها فإنه لابد فيه من ذكر هذين المتباعدين كليهما حتى تتجلى جمالية التقارب والالتقاء بينهما وتبقى بلاغة التشبيه كامنة في مدى قدرة إيجاد الصفات التي تحقق التقارب بين الطرفين في أنواع التشبيه على اختلافها.
أما الاستعارة فإنها تتعدى فكرة التقارب التي يذكر فيها الطرفان إلى حد جعلها شيئا واحدا، وهذا ما يدعو إلى تناسي تشبيه أحدهما بالآخر إلى المزج بينهما واعتبارهما كالشيء الواحد، وذلك بنيابة المذكور منهما عن المحذوف، والاكتفاء بما يحمله من صورة جميلة تغني عنه.
وعلى الرغم من وجود التشبيه في الاستعارة فإنه يكون خفيا لا ينبغي ظهوره كما في التشبيه، وهذا ما جعل البلاغيين يعتبرونها من المجاز باستعمال أحد الطرفين فيما لم يوضع له في الأصل.
كما تظهر بلاغة الاستعارة في جوانب أخرى يمكن أن نوجزها فيما يأتي:

- الجمع بين الطرفين مما يضفي طابع الابتكار الفني على الكلام.
- تقريب المعنى المراد وتقديمه في صورة جميلة.
- الإبانة عن مقاصد المتكلم وأغراضه، والتعبير عن أحاسيسه بطريقة فنية.
- شدة التأثير وحسن الوقع في نفس المخاطب.
- توسيع مجال التعبير والتصوير وجمال صياغة الأفكار والأفكار والإفصاح عنها.
- التنوع البياني باستعمال اللفظ الواحد في مواضع متعددة.
- الإيحاء الفني بالمعاني الخفية بوساطة التشبيه الكامن في المعنى الاستعاري.

- تأكيد المعنى والمبالغة فيه لإضفاء طابع جماي يزيد في تثبيته وترسيخه.
- الإيجاز في التعبير والقدرة على تضمين المعاني الكثيرة في قليل من الألفاظ.
- إثارة الخيال باستدعاء الصور الجميلة والتعابير الفنية المستحسنة.
- قوة التشخيص وتجسيد المعاني المجردة في صور حسية.

إن الاستعارة في حقيقتها تعبير فني نابع من حس إبداعي، وليست مجموعة من القوانين والقواعد الثابتة التي لا ينبغي تجاوزها، لكن هذا لا يعني أن ما توصل إليه البلاغيون وما استخلصوه من الأحكام والضوابط لا قيمة له، بل إن ذلك عمل بالغ الأهمية لأنهم استقوه من نصوص القرآن الكريم، ومما أنتجته مخيلات الأدباء والشعراء ... غير أنهم قد بالغوا أحيانا – وذلك بدافع تأثرهم بالمنطق – في الإكثار من التقسيمات والتفريعات التي خطت حدودا للفن ووضعت قيودا للإبداع، اعترضت سبيله وأخرت مسيرته في بعض الأحيان.

ولا نكون مغالين إذا قلنا إنه بالإمكان مصادفة الكثير من ألوان التعبير الفني الإبداعي – الاستعاري أو غيره – التي تخرج عن النهج الذي رسمه البلاغيون، من غير أن يخل ذلك بقوام اللغة أو يخرج عن سنة اللغو وجمالياتها ... وذلك على شاكلة ما نجده في شعر أبي تمام من القدماء، وما نجده لدى بعض الشعراء والكتاب المعاصرين، غير أنه لا يعني بعض ما نراه سائدا في زماننا هذا من اللغة (الحداثية) الهزيلة والكلام المبتذل التي يعبث فيه باللغة، وينزل بمستواها الأدبي وطابعها الجمالي وسحرها الفني وشموخها القدسي، ويحيلها إلى ألغاز وطلاسم لا حياة فيها ولا روح ولا أصالة ولا وضوح ...

ونختم الكلام عن الاستعارة ههنا بنموذج من حديث الرسول ρ أفصح من نطق بالضاد، إذ يقول: (لا تستضيئوا بنار المشركين) وقد حلله وعلق عليه الأستاذ مازن المبارك مبينا ما له من أثر بلاغي وقيمة فنية، قائلا: "ولو رأيت أفواج الغرباء عن أمتي يفدون كل ساعة ويحملون كل اسم، فهذا تاجر، وهذا أجير، وهذا رجل دين، وهذا خبير، وسمعت منهم ما يدل على خطرهم، وأردت التحذير منهم، وعدم الركون إليهم، والاطمئنان إلى أفكارهم أكنت أصل في اللغة المباشرة إلى ما وصلت إليه بالاستعارة على لسان أفصح العرب وأصدقهم وأنصحهم؛ محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (لا تستضيئوا بنار المشركين).

يعني لا تهتدوا بهديهم، ولا تتخذوا منهم مستشارين لكم، ولكنه صلى الله عليه وسلم، لم يعبر عن الرأي بالنور كما هو شائع مألوف، بل جعله نارا، لأن النور يضيء ويهدي ولا يحرق، أما الرأي المدمر فنار تحرق، لقد جعل الرأي الذي ينصحنا به المشرك نارا، ووحد بينهما حتى كان ذرك أحدهما مجزئا عن ذكر الآخر، وقوى معنى النار بجعلها ذات ضوء، وترك لك أن تتخيل ما شئت من أوجه الشبه بين الرأي المدمر القاتل ينصحك به عدو في ثياب صدوق، وبين النار التي طلبت ضياءها لتهتدي به فأصلتك لظاها لتحترق"[1].

فما أجملها من استعارة، وما أجمله من تحليل لها وبيان لروعة ما بين ثناياها من بديع الصورة وعمق المعنى وبراعة الاختيار وجمال الصياغة.

1- مقالات في العربية، ص 99 – 100.

الفصل الثالث التطبيقي؛

تطبيق الإستعارة على بعض آيات القرآن الكريم

تطبيق الاستعارة على بعض الآيات من سور القرآن

قال الله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) البقرة 257.

استعير في هذه الآية الكريمة: الظّلمات للظّلام بجامع عدم الاهتداء في كلّ منها... واستعير النور بجامع الاهتداء في كلّ منها، وهذا المسلك الأدبي يسميه علماء البلاغة الاستعارة التّصريحية الأصلية، هذه الاستعارة الفردية تجعل الهدى والضلال يستحيلان نورا وظلمة، إنّها تبرز المعاني المعقولة الخفية في صورة محسوسة، حيّة متحرّكة، كأنّ العين تراها واليد تلمسها.

تأمّل كلمة "الظّلمات" إنّها تصوّر لك بظلامها الضلال ليلا دامسا يطمس معالم الطريق أمام الضلال فلا يهتدي إلى الحق، ثم تأمّل الدّقّة القرآنية في جمع الظّلمات، إنّه يصوّر لك إلى أي مدى، يبين لهم الطريق أمام الضلال فلا يهتدون على الحق وسط هذا الظلام المتراكم.

ثم تأمّل كلمة النور إنّها بنورها تصوّر لك الهداية مصباحا منيرا ينير جوانب العقل والقلب ويوضّح معالم الطريق أمام المهتدي فيصل في سهولة ويسر إلى الحق، فينتفع به، فيطمئن قلبه وتسكن نفسه، ويحظى بالسّعادة في دنياه وأخراه.

قال الله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) الإسراء 24.

في هذه الآية الكريمة الله تعالى يأمر الولد بأن يخضع لوالديه، ويلين لهما لينا ناشئا عن خلق الرّحمة المتغلغل في قلبه، ويتذلّل لهما تذلّل الرّاحم لا تذلّل الضّعيف المهين، فيشبّه الرّحمة بالطّائر، ويجعل لهذا الطّائر (طائر الرّحمة الخيالي) عدّة أجنحة، واحدا من هذه الأجنحة يسمى جناح الذّلّ، وإذ يصل القرآن إلى هذه الصّورة الخيالية الحلوة، يأمر الإنسان بأن يخفض جناح الذّلّ هذا لوالديه، وهذه الاستعارة من قبيل الاستعارة التّخييلية، لأنّ المشبّه به هو الطّائر، وقد حذف ورمز إليه في الاستعارة ببعض خواصه، وهو الجناح، إذ تقرّب الحقائق الفكرية والمعاني النظرية إذ تجعلها في صورة تدرك في التّصوّر الحسي.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) التوبة 34.

معنى هذه الآية الكريمة، يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن كثيرا من علماء أهل الكتاب وعبادهم ليأخذون أموال الناس بالباطل بغير حق، كالرشوة وغيرها، ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام، ويصدون عن سبيل الله، والذين يمسكون الأموال ولا يؤدون زكاتها، ولا يخرجون منها الحقوق الواجبة، فبشرهم بعذاب أليم، هنا استعيرت البشارة للإنذار الذي هو ضده على سبيل التهكم والاستهزاء على سبيل الاستعارة والعنادية.

قال الله تعالى: (والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم) الحشر 9، هنا استعارة لأن تبوأ الدار هو استيطانها، والتمكن فيها، ولا يصح حمل ذلك على حقيقته في الإيمان، فلابد إذن حمله على المجاز والاتساع، فيكون المعنى أنهم استقروا في الإيمان كاستقرارهم في الأوطان، فحذف المشبه به الأوطان، وترك لازمه من لوازمه تبوؤا على سبيل الاستعارة المكنية.

قال الله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) الحاقة 12.

طريقة شرح الاستعارة : وهناك طريقتان لشرح هذه الاستعارة:

الطريقة الأولى: الاستعارة في كلمة طغى، حيث شبهت الآية الكريمة كثرة الماء بالطغيان، ووجه الشبه هو تجاوز الحد والماء الطاغي هو الماء الكثير الذي تجاوز كل الحدود في علوه وتدفقه على سبيل الاستعارة التصريحية

الطريقة الثانية: الاستعارة في كلمة الماء حيث شبه الماء على سبيل التشخيص بكائن حي هو الظالم أو المعتدي ووجه هو مجاوزة الحد في الطغيان على سبيل الاستعارة المكنية.

- قال الله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح) الأعراف 154.

الاستعارة في لفظ سكت حيث شبه انتهاء الغضب بالسكوت بجامع الهدوء والتلاشي، وكلمة سكت فعل، فالاستعارة إذن تبعية، ولكن لو أجرينا الاستعارة في كلمة الغضب فقلنا: شبه الغضب بكائن حي، فاستعار له صفة السكوت على سبيل الاستعارة المكنية فإن كلمة الغضب – وهي مصدر – كلمة جامدة، فالاستعارة إذن أصلية مكنية.

- قال الله تعالى: (وما يستوي الأعمى والبصير) فاطر 19.

الاستعارة في كلمة الأعمى والبصير فقد استعار الأعمى للكافر عديم الأخلاق، واستعار البصير للمؤمن ذو أخلاق، لأن الكافر يسير على غير بصيرة، فهو كالأعمى، وأما المؤمن فيعرف حقائق الأشياء، فهو كالبصير.

وكلمتا الأعمى والبصير مشتقتان، وحذف المشبه به الذي هو الكافر والمؤمن على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

- قال الله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) البقرة 16.

في هذه الآية الكريمة استعارة في كلمتي الضلالة والهدى، فقد شبهتا بالسلعة التي تباع وتشترى، وصور القرآن خسارة أولئك الكافرين في هذه التجارة، لأنهم يبيعون شيئا ثمينا (الهدى)، ويشترون به شيئا رخيصا (الضلال)، ومثل هذا العمل فيه دلالة جهلهم وفرط عمايتهم، وما زاد هذه الاستعارة جمالا الترشيح في قوله (فما ربحت تجارتهم) وهي صفة تناسب المشبه به (السلعة)، فهنا حذف المشبه به (السلعة) وترك لازمة من لوازمه (التجارة) على سبيل الاستعارة المكنية.

أما بلاغة التركيب في أداء المعنى فيتمثل ببلاغة كلماته وأساليبه، من ذلك توظيف اسم الإشارة (أولئك) الذي يدل على بعد الكافرين عن رحمة الله عز وجل، أما الاسم الموصول الذين) فالهدف من استخدامه هنا تقرير الغرض الذي سبق الكلام من أجله، وهو خسران هذه الفئة، وفي جعل الاسم الموصول خبرا بقوله 'الذين) شد لانتباه السامع حيث إن الاسم الموصول من الأسماء المهمة التي تحتاج إلى توضيح.

- قال تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) التوبة 109

في هذه الآية الكريمة ضرب الله مثلا للمؤمن والمنافق، فشبه المؤمن بمن أسس بنيانه أساسه التقوى، وشبه المنافق بإنسان أسس بنيانه على طرف واد متصدع، لابد أن ينهار في أية لحظة، والجامع في الصورة الأولى هو الثبات والنجاة في حالة المؤمن وفي الثانية التصدع والهلاك في حالة المنافق على سبيل الاستعارة التمثيلية.

- قال الله تعالى: (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) الملك 7 – 8.

في هذه الآية الكريمة استعارة في قوله (شهيقا) حيث شبه جهنم بالحمار الذي له شهيق، فحذف المشبه به (الحمار)، وترك لازمة من لوازمه (شهيق)، على سبيل الاستعارة المكنية، ثم جاء الترشيح بقوله (تميز) أي تنقطع من شدة الغيظ غضبا على الكافر.

- قال تعالى: (فاصدع بما تومر وأعرض عن المشركين) الحجر 94.

في هذه الآية الكريمة استعارة في قوله (فاصدع)، والصدع: هو القطع والكسر للأشياء الصلبة، واستعير هنا للدلالة على التبليغ ذي التأثير القوي في النفوس، حيث شبه تبليغ الدعوة بالصدع، وحذف المشبه (تبليغ الدعوة) على سبيل الاستعارة التصريحية، وقد ناسبت هذه الاستعارة مقام الصاع الذي واجهه الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية دعوته، فأمر بالتبليغ الذي فيه حسم للأمور، وتفريق بين الحق والباطل، وعبِّر عن ذلك بالصدع الذي يقطع الأشياء ويفصل بينها.

- قال الله تعالى: (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة 23.

في هذه الآية الكريمة استعارة في كلمة (وقودها)، فاستعير هنا للدلالة على نار جهنم أعدت للكافرين الذين لن يأتوا بسورة من مثله لعجزهم، فذكر المشبه به (الوقود) وحذف المشبه (الحطب)، وترك لازمة من لوازمه (النار) على سبيل الاستعارة التصريحية.

- قال الله تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) البقرة 25.

في هذه الآية الكريمة استعارة في كلمة (جنات)، حيث شبه بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة، والظل المديد بالجنات، حذف المشبه، وترك لازمة من لوازمه (ثمرة) على سبيل الاستعارة التصريحية.

- قال الله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) القصص 8.

وإجداؤها أن يقال شبهت المحبة والتبني بالعداوة والحزن اللذين هما العلة، لأن العلة الغائبة للالتقاط بجامع مطلق الترتيب، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه عن طريق الاستعارة التصريحية التبعية، واعلم أن اللام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة، لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم ابنا، وإنما استعملت مجازا لعاقبة الالتقاط، وهي كونه لهم عدوا، فاستعيرت العلة للعاقبة بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط، ثم استعيرت اللام تبعا لاستعارتها، فالمستعار من العلة، والمستعار له العاقبة، والترتب على الالتقاط هو الجامع، والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدوا.

- قال الله تعالى: (ولأصلبنكم على جذوع النخل) طه 71.

شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعيرت لفظ "في" الموضوع لكل جزئيا من جزئيات الظرفية بمعنى "على" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

- قال الله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم) البقرة 6.

شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات، ثم استعيرت "على" من جزئي من جزئيات المشبه به بجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

- قال الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) الأحزاب 72.

الآية على احتمال فيها، فإنه لم يحص عرض وإباء وإشفاق منها وصعوبة وإشفاق منها حقيقة، بل هو تصوير وتمثيل بأن يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء مع كبر أجرامها وقوة متانتها، فامتنعن وخفن من حملها بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير الترتيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

- قال الله تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم 4.

شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبات عليها، بتمكن من على دابة يصرفها كيف يشاء، بجامع التمكن والاستقرار في كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعيرت لفظ "على" الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي، على سبيل الاستعارة التصريحية.

- قال الله تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) الأنبياء 18.

الاستعارة في كلمتي (نقذف) و(يدمغه)، فالقذف في اللغة رمي جسم على جسم، وقد استعير هنا للدلالة على توجيه الحق وأدلته المقنعة ضد الباطل، فقد شبهت الآية – إذن – توجيه الحق نحو الباطل بالقذف الذي يكون من أجل إبقائه أو إتلافه، وأما الدمغ في اللغة فهو الشبح في الرأس، وقد استعيرت للدلالة على إبطال الباطل وزواله، فشبه إبطال الباطل بالدمغ، وما زاد هذه الاستعارة جمالا، الترشيح في قوله (يدمغه، وهي من صفات المشبه به، ثم بالغ في الوصف فقال: (فإذا هو زاهق) والزهق هو المنفلت من موضعه والهالك.

- قال الله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) البقرة 7.

في هذه الآية الكريمة استعارة، (تجعل قلوبهم) لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكباره عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه، وتعاف استماعه، كأنها مستوثق منها بالختم، وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية.

وهذه الآية استعارة تمثيلية ترسم مشهدا واضحا لحال الكفار الذين لم ينتفعوا بقلوبهم في التمييز بين الحق والباطل، فقد شبهت قلوبهم في التمييز بين الحق والباطل، فقد شبهت قلوبهم إعراضها عن الحق وعدم الإصغاء إليه بحال قلوب ختم الله عليها، وهي قلوب البهائم.

أما بلاغة هذه الاستعارة في تأدية المعنى المراد، وهو تمثيل لحال المشبه فيتضح من خلال بلاغة التركيب الذي يمثله بما فيه من كلمات وأساليب، ففي توظيف الصيغة الماضية من الفعل (ختم) دلالة على أن بعد الكفار عن الإيمان قد تحقق، فهو أمر مفروغ منه.

وقد أسند الختم إلى الله مجازا للدلالة على تمكن معنى الختم من قلوبهم وألا يرجى زواله، ولهذا هي استعارة تمثيلية، لأن الكفار لا يتدبرون ما يسمعونه، وهم بعملهم هذا حالهم كحال من ختم الله على سمعه فلا يستطيع السمع، فقد شبهت هيئة بعد الكفار والمنافقين عن الإيمان بدعوة الرسول ﷺ، وإصرارهم على البقاء على ما هم عليه من الكفر، بهيئة أشخاص ختم الله على قلوبهم كما يختم على الأوعية فلا يدخل إليها شيء، ولا يخرج مما فيه أي شيء.

- قال الله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين) الحج 11.

تمثل هذه الآية الكريمة حال ضعيف الإيمان الذي لا يرجو بإيمانه سوى الغنائم الدنيوية، فهو عند مواجهة المحن يعود إلى الكفر والشرك والضلال والممثل به من يدخل مع قوم دخول طالب المغنم فقط، فهو يجلس على طريق منازلهم، وفي أواخر مواقعهم قلقا مستوفرا مستعدا للهرب، فإن وجد معهم مغنما استقر في موقعه واطمأن وأصاب من المغنم، وإن وجد مصيبة يمكن أن تنزل به فيصيبه منها شيء، أو لاحت له مغانم عند أعدائهم تركهم وانقلب عليهم، ولكن الصورة لابد أن تكون أدق من هذه الصورة، إن المرتد على وجهه بعد أن يترك القوم الذين دخل في طرف مواقعهم طمعا بالمغانم لديهم"[1]

وبتوظيف الفعل الماضي دلالة على تحقق الردة لدى المنافقين، واختيار كلمة (وجهه) اسهم في بلاغة التركيب الاستعاري، إذ ان الوجه أشرف جسم الإنسان، وعنوان كرامته، فإذا انقلب الإنسان على وجهه أصبح ذليلا حقيرا، فهو قد خسر الدنيا والآخرة، فقد شبه حالهم بحال المنقلبين على وجوههم على سبيل الاستعارة التمثيلية، حيث مثل من يرتد عن دينه بمن ينقلب على وجهه، وبالنظر إلى السياق القرآني للاستعارة التمثيلية (انقلب على وجهه)، نجدها جوابا للشرط (إن أصابته فتنة)، مما يدل أن الإصابة بالفتنة شرط لحدوث الردة والرجوع عن الحق.

1 الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ص 188 – 189

- قال الله تعالى: (أيودُّ أحدُكمْ أن تكون لهُ جنّةٌ مّن نّخيل وأعْناب تجْري من تحْتها الأنْهارُ لهُ فيها من كلّ الثّمرات وأصابهُ الْكبرُ ولهُ ذرّيّةٌ ضُعفاء فأصابها إعْصارٌ فيه نارٌ فاحْترقتْ كذلك يُبيّنُ اللّهُ لكُمُ الآيات لعلّكمْ تتفكّرُون) البقرة 266.

في هذه الآية الكريمة " مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله، فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة، فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف، والجنة معاشهم ومنتعشهم، فهلكت . بالصاعقة"

والآية مثل العمل المرائي الذي يتبع صدقاته بالمن والأذى، ووجه الشبه في الحالين هو حصول خيبة ويأس في وقت تمام الرجاء، وإشراف الإنتاج، والمشبه به حال صاحب جنة يعتني بها وينفق على ذلك الوقت والجهد والمال، وعندما يحين جني ثمارها لا يتمكن من ذلك "إنها الحسرة الكبرى والندامة ولات ساعة مندم أن تعود

جنته قاعا صفصفا حين احتياجه لها، وعند الكبر وترعرع أطفاله وهم ضعفاء لا يقدرون على شيء، وإذا بالإعصار يؤججها بنار محرقة، فتعود ثمراتها هباء كأن لم تغن بالأمس على سبيل الاستعارة التمثيلية.

- قال الله تعالى: (ولا تجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنقِكَ) الإسراء 29

في هذه الآية الكريمة استعارة، بحيث شبه الذي يشح بالمال بالذي غلت يده إلى عنقه، أي شدّت بالغلّ، وهو القيد من السّير يشدّ بع يد الأسير، فإذا غلت اليد إلى العنق تعّذر التصرف بها فتعطل الانتفاع بها فصار مصدر البذل معطلا فيه، فقد انتقت الاستعارة التمثيلية لفظ اليد دون غيرها من أعضاء الجسم؛ وذلك لأن اليد أداة العطاء وآلته، وبتعطيلها يتعطل العطاء.

وفي كلمة مغلولة دلالة لا يؤديها أي من مرادفاتها مثل كلمة (مقبوضة)، فاليد المغلولة هي اليد التي أدخلت في الغلّ، والغلّ: طوق من حديد أو جلد يُجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما، وبذلك تصور الاستعارة التمثيلية حال البخيل الذي

يسيطر عليه حب المال فلا يستطيع إنفاق شيء منه، بحال الأسير الذي وضعت يده مع عنقه في غلٌّ فلا يستطيع إفلاتها منه.

وفي هذه الآية حذف المشبه (الذي يشح بالمال) وترك المشبه به (الذي غلت يده إلى عنقه) وترك لازمة من لوازمه (اليد التي هي أداة العطاء) على سبيل الاستعارة التصريحية.

- قال الله تعالى: ﴿لِمَ تستْعْجلونَ بِالسَّيِّئَةِ قبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ النمل 46

استعارة لتمثل به عند التعرض لموقف يتضح فيه تعجل الإنسان بما يسوءه، تعبيرا عن المعنى الكثير باللفظ القليل.

وفي توظيف الفعل المضارع دلالة على استمرار الاستعجال لدى الإنسان، فهو طبعه الدائم، وطبيعته التي خلق عليها، فهي إذن استعارة تمثيلية.

فأسلوب الاستفهام في الاستعارة يخرج عن معناه الحقيقي ليفيد الإنكار التوبيخي المتمثل بهذه الاستعارة ينكر المستعجل على استعجاله، ويوبخه على ذلك.

- قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا وَلا يَغْتب بَّعْضُكم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكمْ أَن يَأْكلَ لحْمَ أَخِيهِ مَيتا فكرِهْتمُوهُ وَاتَّقوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات 12

في هذه الآية الكريمة شبهت حالة اغتياب المسلم مَن هو أخوه في الإسلام وهو غائب عنه بحالة أكل لحم أخيه وهو ميت لا يدافع عن نفسه، فحذف المشبه (اغتياب المسلم) وذكر المشبه به (أكل لحم أخيه ميتا) وترك لازمة من لوازمه (يغتب) على سبيل الاستعارة التصريحية، وبهذا

تستطيع الاستعارة التمثيلية تجسيد الفكرة الذهنية النهي عن الغيبة من خلال تمثيلها بما تشمئز منه النفوس البشرية، فكأن المسلم الذي يغتاب مسلما إنّما يقطع لحم أخ له تقطيعًا ويأكله، وهو أكره شيء يمكن أن يتصوره الإنسان المؤمن، أو الإنسان الذي يشعر بإنسانيته، ففي هذه الاستعارة شبهت الكراهية الحاصلة من تناول المرء عرض أخيه وذكره بما يكره، بالكراهية الحاصلة من أكل لحم أخيه الميت، ثم استعير هيئة المشبه به

للمشبه، وبتوظيف أسلوب الاستفهام التقريري، تبين الاستعارة أن كل النفوس البشرية تأبى هذه الصورة وتقر بكراهيتها لها.

- قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذتْ بَيْتا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْت الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت 41

فالاستعارة في عبارة وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْت الْعَنكَبُوتِ فهي استعارة تمثيلية جاءت بعد المشبه به في التشبيه التمثيلي الذي شبه من يتخذ أولياء من دون الله بالعنكبوت؛ لتشبَّه حال الأولياء الذين اتخذوهم الكفرة آلهة لهم، وما عليه هذه الآلهة من ضعف حتى إنها لا تستطيع حماية نفسها، بحال بيت العنكبوت وما هو عليه من ضعف، فهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه أيضا إذ إنّ هذا البيت ينتهي به الأمر ليصبح هو نفسه طعاما لعنكبوت...!وهنا يأتي الوصف على صيغة المفاضلة بقوله" أوهن "حيث لا يوجد بيت من الضعف بأن ينتهي به الأمر أن يكون ليس أنقاضا فحسب بل ولساكنه طعاما،

كما أن توظيف هذه الاستعارة لأسلوب التوكيد وذلك باستخدام أداتين (إن واللام) يؤكد الحال المشبه (ضعف المعبودات من دون الله)، وبتعريف كلمة (البيوت) تدل الاستعارة التمثيلية على أن المفاضلة تشمل جميع جنس البيوت، أما تعريف كلمة بيت بإضافتها إلى كلمة (العنكبوت)، فقد أفاد معنى التحقير.

- قال الله تعالى: ﴿لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا﴾ البقرة 104

في هذه الآية نهي عن استخدام كلمة راعنا وهي أمر من المراعاة، أي راعنا سمعك أي اسمع لنا ما نريد أن نسألك عنه أو انظر في مصالحنا وتدبير أمورنا، وكانوا يقولون ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعونة وهي الجهل والحمق، فسرّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي، فنهي المؤمنون عنها، وأمروا أن يقولوا بدلها انظرنا أي انظر إلينا.

وتستمد هذه الاستعارة بلاغتها، من بلاغة تركيبها بما فيه من أساليب وألفاظ، فهي توظف أسلوبي النهي (لا تقولوا) والأمر (قولوا)، وقد قدم النهي على الأمر وذلك لسوء الأثر الذي يتركه اللفظ السيء على نفس السامع.

إن هذه الآية تستعار من موقعها القرآني، ليتمثل بها المسلم في معرض النهي عن الأقوال التي تحتمل معاني خبيثة وغير لائقة، والحث على تخير الألفاظ وحسن انتقائها للتعبير عن المعنى المراد، فهي إذن استعارة تمثيلية.

- قال الله تعالى: (والفتنة أكبر من القتل) البقرة 217

معلوم أن الجهاد فيه قتلُ الرجال وإزهاق النفوس، ولذلك جاء التنبيه من الله الجملة أنَّ ما عليه الكفار من الكفر بالله والشرك به والصدّ عن سبيله، أبلغ وأشدُّ وأعظم وأكبر من القتل والمعنى الحقيقي لهذه الآية يقول ابن كثير :كان المشركون يفتنون المسلم في دينه، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، وهذا أكبر عند الله من قتل رجل في الشهر الحرام.

وقد رسمت هذه الاستعارة صورة منفرة للفتنة، وذلك من خلال استخدام اسم التفضيل (أكبر)، الذي يجعل الفتنة، وهي اسم شامل لجميع ما يقع من الأذى أكبر من القتل.

وقد استأنس الناس ببلاغة هذه التراكيب فاستعاروها لكل موقف، يرون أنّ فيه فتنة مهما كان نوعها، موجزين الكثير من الكلام مبينين رأي الدين في هذه العادة الاجتماعية السيئة، فهي استعارة تمثيلية.

- قال الله تعالى: (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) البقرة 101

في هذه الآية الكريمة صور إعراضهم عن دين الله وعدم إيمانهم به بما ينبذ وراء الظهر استغناء عنه وقلة اكتراث به[2]، والنبذ: طرح الشيء مع الاستهانة به، وأصله واقع على نبذ النواة بعد أكل ما حولها، فالعبارة تدل على توغل أهل الكتاب من اليهود والنصارى في ارتكاب كبيرة إهمالهم لما أخذ وعدم كتمانه، حتى كان فيهم بمثابة النّوى ينبذ وراء الظهور.

2 – الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد، الكشاف، م 1، ص 171.

وفي قوله (فنبذوه وراء ظهورهم)؛ آل عمران 187، حقيقته تعرضوا للغفلة عنه، والاستعارة أبلغ لما فيه من الإحالة على ما يتصور وذلك بتشبيه هيئة من أخذ عليهم الميثاق فأهملوه ولم يعتدوا به بهيئة من بيده شيء تافه فطرحه وراء ظهره، والجامع بينهما :وجود شيء يهمل احتقارا لشأنه، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية.

وبالنظر في تركيب الاستعارة التمثيلية (نبَذ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتابَ كِتاب اللّهِ وَرَاء ظهُورِهِمْ)، يتضح أنها تنتقي ألفاظها ببراعة ودقة، فهي توظف لفظ (نبذ)، ولم تستخدم أيّا من مرادفاته مثل ترك؛ وذلك لأن كلمة نبذ " فضلا عن أنها تدل على الترك، توحي إلى نفس القارئ معنى الإهمال والاحتقار، لأن الذي (ينبذ) وراء الظهر إنما هو الحقير المهمل، في اعتقاد من يهمله .وكذلك لم تستخدم لفظ (طرح)، إذ أن الفرق بين النبذ والطرح أن النبذ اسم لإلقاء الشيء استهانة به وإظهاراً للاستغناء عنه وبإضافة الوراء إلى الظهر، تؤكد الاستعارة بعد المتروك والمبالغة في إبعاده وإهماله، وذلك لأن الظهر هنا بمعنى الوراء، وعندما أضيف إليه الوراء أصبح بمعنى وراء الوراء.

- قال الله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) الفاتحة 5

في هذه الآية الكريمة "الصراط المستقيم" هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو الدين الحق، فالاستعارة تحقيقية.

فإن من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم، واقتدى بالذين من بعده، أبي بكر وعمر، فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، لأن المستعار له هنا محققا عقلا، بأن يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة عقلية.

- قال الله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين قد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فمَنْ يَكْفرْ بالطَّاغوتِ وَيُؤْمِن باللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة 256

فالآية الكريمة تشبيه لحال المؤمن الذي التزم الإيمان، وثبت عليه بحال من تمسك بحبل متين مأمون انقطاعه ليحافظ على سلامته، وعبارة(فَقَد اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) استعارة معناها استمسك بالدين بأقوى سبب، وشبه ذلك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد، فحذف المشبه (حال المؤمن الذي التزم الإيمان)، وترك لازمة من لوازمه (يؤمن بالله) على سبيل الاستعارة المكنية.

وهو بتمسكه بحبل الله أمن من الوقوع في الحفرة التي كان على حافتها قبل مجيء الإسلام (وَكنُتمْ عَلىَ شَفا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّار فأَنَقذكم مِّنْهَا) آل عمران 103، فالتركيب استعارة تمثيلية، شبه حالهم في الجاهلية بحال المشرف على حفرة عميقة بجامع الهلاك في الأمرين، لكن المؤمن بتمسكه بدين الله سلم من الهلاك بدخول النار، هذا المعنى الذي مثلته الاستعارة بحال من يقف على حافة حفرة عميقة يكاد أن يقع فيها، لكنه ينقذ نفسه من ذلك عندما يتمسك بحبل متين لا ينقطع.

- قال الله تعالى: (مَّن ذا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قرْضًا حَسَنا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا) البقرة 245

ومعنى هذه الآية أن مثل المنفق في سبيل الله كمثل من يقرض الله ومَثل الله تعالى في جزائه كمثل المستلف مع من أحسن قرضه وأحسن في دفعه إليه.

فحال المنفق في سبيل الله المتصدّق مما رزقه الله مبتغيا رضاه، والله يبارك له في ماله ويضاعفه له إضافة إلى ما سيناله من أجر وثواب، كحال من يقرض إنسانا أمينا وفيا مالا، فيقوم الثاني بالمتاجرة له في هذا المال ثم يعيده لصاحبه أضعافا مضاعفة، إلى جانب عطايا أخرى من غير جنس القرض، وبالنظر في تركيب الاستعارة نلاحظ الدقة العظيمة في احتيار الألفاظ والأساليب، بما يحقق الهدف، ويصور المعنى.

وباستخدام الاستعارة التمثيلية اسم الإشارة (ذا) استطاعت إبراز أهمية المنفق في سبيل الله وتمييزه أكمل تمييز، ثم الإخبار عنه بالخبر العظيم(الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ) وهو

الإنفاق في سبيل الله وبوصف القرض بكلمة (حسنا) ترسم الاستعارة التمثيلية مشهدا مشرقا للمقرض، فهو يقرض عن طيب نفس، وبشاشة وجه، وبعد عن المنة والأذى.

- قال الله تعالى: ﴿رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرًا وَثَبِّت أَقْدَامَنا﴾ البقرة 250

شبه حالهم والله تعالى يفيض عليهم بالصبر بحال الماء يصب ويفرغ على الجسم فيعمه كله والتركيب دعاء يجري على الألسن مجرى المثل عند الوقوع في البلايا والمحن وذلك لما يفيده التركيب وما يثيره في نفسك من الطمأنينة التي يحس بها من هدأ جسمه بماء يلقى عليه، وهذه الراحة تشبهها تلك الراحة النفسية، ينالها من منح هبة الصبر الجميل.

وهنا حذف المشبه (حالهم والله يفيض عليهم بالصبر)، وترك المشبه به (الماء الذي يصب)، وترك لازمة من لوازمه (أفرغ) على سبيل الاستعارة المكنية.

- قال تعالى: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ سبأ 19

معنى هذه الآية الكريمة، فبطغيانهم ملوا الراحة والأمن ورغد العيش، فقالوا ربنا اجعل قرانا متباعدة ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبرا وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وفرقناهم كل تفريق، وخربت بلادهم، إن فيما حل بسبإ لعبرة لكل صبار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى.

والاستعارة في عبارة (ومزقناهم كل ممزق) "من حيث إن التمزيق للثوب في أصل اللغة، إلا أنه على ذلك راجع إلى الحقيقة، من حيث أنه تفريق على كل حال، وليس بجنس غيره، إلا أنهم خصوا ما كان مثل الثوب بالتمزيق، كما خصوه بالخرق، وإلا فأنت تعلم أن تمزيق الثوب تفريق بعضه عن بعض، ومثله أن القطع إذا أطلق فهو لإزالة الاتصال من الأجسام التي تلتزق أجزاؤها، وإذا جاء في تفريق الجماعة وإبعاد بعضهم

عن بعض"[3] ، فحذف المشبه به (تفريق القرى) وترك المشبه (تمزيق) ولازمة من لوازمه (البعد)، على سبيل الاستعارة المكنية.

- قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ﴾ الأعراف 151

في هذه الآية الكريمة استعارة النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق المزيلة للشك، النافية للريب، وهي مأخوذة من الصور العقلية، إذن هي استعارة تحقيقية.

3

الخاتمة:

تناولت مقدمة هذه الدراسة الاستعارة في القرآن الكريم بالتحليل من وجهة نظر بلاغية، فبحثت في الموضوعات التي تناولتها الاستعارة في القرآن الكريم، ووقفت على آيات الأخلاق والقيم التي وردت فيها، ثم تناولت الدلالات الموضوعية والفنية لهذه الاستعارة.

وقد وردت الاستعارة في كتاب الله عز وجل، وكانت عنصرا من عناصر الكمال والجمال فيه، كما كانت وسيلة من الوسائل المهمة في أداء المعاني والأغراض الدينية المختلفة.

وقد كانت تشتمل على جميع خصائص التشبيه التي ذكرناها من قبل.

والاستعارة في القرآن ليست مقصورة لذاتها، بل جاءت لتنفيذ أغراض كثيرة.

تميزت الاستعارة في القرآن بحسن التصوير وبراعة الأداء.

الاستعارة في القرآن الكريم من طرائق التمثيل، وقد أكثر القرآن من ضرب الأعمال من أجل هداية الناس إلى الحق.

ومن النتائج التي توصلت إليها:

- **تأرجح مفهوم الاستعارة في الكتب البلاغية القديمة بين الصور البلاغية المختلفة.**
- **علاقة الاستعارة بالمجاز هي علاقة الجزء بالكل، فكل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة.**
- **تتميز الاستعارة عن غيرها من الصور البيانية أنها تجري في التركيب والمفرد والأفعال، والأسماء والحروف، وأنها أبلغ من التشبيه.**
- **وسر بلاغة الاستعارة من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمدا على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور.**
- **أما بلاغتها من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام.**

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق كامل محمد عويضة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998 م.
2. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2، القاهرة، 1393 هـ / 1973 م.
3. ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، ط1، دمشق، 1410 هـ / 1990 م.
4. ابن عيينة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، تعليق محمود فؤاد، ج1 و ج 2، مكتبة الخانجي – القاهرة، دار غريب – القاهرة 1998 م.
5. أحمد أبو المجد، الواضح في البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
6. الجاحظ، البيان والتبيين
7. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
8. أبو الحسن علي بن فضال المجاسعي، النكت في إعجاز القرآن الكريم، تعليق د.عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية 1428 هـ / 2007 م، بيروت – لبنان.
9. السكاكي، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
10. السيد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، ط1، 2011، صيدا، لبنان.
11. الطاهر بن عيسى، البلاغة العربية، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، 2008 م، بيروت – لبنان.
12. راغب السرجاني، الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، موقع نصر رسول الله.
13. سميح أبو مغلي، علم الأسلوبية والبلاغة، دار البداية، ط1، 1432 هـ - 2011 م، عمان – الأردن.
14. عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان – الأردن، ط1، 2011 م – 1432 هـ
15. عبد المحسن محمد الهاشمي، لمحات نفسية في القرآن الكريم، مكتبة رحاب – الجزائر.
16. عبد الرحمن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم ط5، 1420 هـ - 1999 م، دمشق – سوريا.

17. عبد العزيز عتيق، كتاب علم البيان، دار النهضة العربية، ط2، بيروت – لبنان.
18. عبد العليم بوفاتح، فنون البلاغة العربية، مطبعة ابن سالم، ط1 2009م – 1430 هـ، الأغواط – الجزائر.
19. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط3، 1992 م، القاهرة – مصر.
20. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة – مصر.
21. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مكتبة الخانجي، ط1، 1963 م، القاهرة – مصر.
22. محمد عبد الرحمن عدس، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، دار الآفاق، 1990، وحدة الرغاية، الجزائر.
23. دعبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دار البحوث العلمية، مؤسسة الرسالة ط3، 1400 هـ – 1980 م، الكويت.
24. محمد عبد المنعم خفاجي، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1991، الزيتون – القاهرة.
25. محمود السعدي، القاموس الجديد، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، 1991 م – 1411 هـ ، الجزائر.
26. يحي بن عبد الله المعلمي، مكارم الأخلاق في القرآن.
27. يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة، دار المسيرة، ط1، 2007 م – 1427 هـ، عمان – الأردن.
28. يوسف القرضاوي، د الحلال والحرام في الإسلام، ار التراث العربي، ط11، 1397 هـ – 1977 م، القاهرة – مصر.

إهداء
شكر وتقدير
المقدمة ..... أ
الفصل الأول: أخلاق القيم في القرآن الكريم 1
أخلاق القيم في القرآن الكريم 2
•أهمية الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية 2
تعريف الأخلاق 4
تعريف القيم 4
أقسام الأخلاق 6
مكارم الأخلاق والقيم في القرآن الكريم 6
1. الأخوة واجتناب الظن 7
2. الأمانة والصدق في إبداء الرأي 8
والعفة والاحتشام وغض البصر والصوت 9
الاستئذان والسلام والتحية 10
الثبات والصبر 12
الصبر 13
صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الضيافة 14
المساواة بين الناس والعدل 16
العفو والرحمة 19
المحبة والإحسان 21
الزواج وتربية الأولاد 24
بر الوالدين والأمر بالمعروف 27

الفصل الثاني: مفهوم الاستعارة وأنواعها 29
• نشأة الاستعارة 30
تعريف الاستعارة 34
تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين 38

1.استعارة تصريحية 38
2.استعارة مكنية 39
3.الاستعارة التخييلية 40
4.الاستعارة التحقيقية 40
المذاهب في التخييلية 41
الأول: مذهب السلف، والخطيب 41
- الثاني: مذهب السكاكي 41
- الثالث: مذهب صاحب الكشاف 42
- الرابع – مذهب صاحب السمرقندية 42
- أنواع الاستعارة باعتبار الملائم 42
1.الاستعارة المرشحة 42
2.استعارة مجردة 43
3.الاستعارة المطلقة 44
أنواع الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار 45
1.الاستعارة الأصلية 45
2.الاستعارة التبعية 46
أ-اسم الفاعل 47
ب- اسم المفعول 47
ج- الصفة المشبهة 48
د- اسم المكان 49
هـ- اسم الآلة 49
و- اسم التفضيل 50
ز- الضمير 50
ح- اسم الإشارة 50
في الموقع الإعرابي 50
أ. المبتدأ 50
ب. الخبر 51

ج. الفاعل 51
د. المفعول به 51
هـ. الحال 51
و. الصفة 51
ز. المنادى 52
ح. الاسم المجرور 52
ط. الظرف 53
الاستعارة في الأفعال 53
1. في الفعل الماضي 53
2. في الفعل المضارع 53
3. في الفعل الأمر 53
الاستعارة في الحروف 53
1. الاستعارة باللام 53
2. الاستعارة بـ "لعل" 54
3. الاستعارة بـ "هل" 54
الاستعارة التمثيلية 54
تقسيم الاستعارة المصرّحة باعتبار الطرفين 58
تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع 59
بلاغة الاستعارة 59

الفصل الثالث: التطبيقي. 63
تطبيق الاستعارة على بعض الآيات من سور القرآن 64
طريقة شرح الاستعارة 65
الطريقة الأولى 65
الطريقة الثانية 65

الخاتمة 79